جامعة الجيلالي بونعامة– خميس مليانة، عين الدفلى

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

السنة الثالثة ليسانس علم الاجتماع

من إعداد: د. نسيسة فاطمة الزهراء

الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

أولا: وصف المادة

تتضـمن هذه المادة بين طياتها الدراسـات المؤسـسـة في علم الاجتماع، ويهتم بمناقشـة الدراســات الغربية التي ســاعدت على ظهور علم الاجتماع، وكلها نظريات هامة حول دراسة المجتمع من كل الجوانب الاقتصادية والثقافية والاجتماعية...الخ.

ثانيا: أهداف المادة

تهدف هذه المادة إلى شرح النظريات الحديثة لعم الاجتماع، ومدى فاعليتها في تنظيرها للواقع الاجتماعي بما تعكسه من نتائج ومقترحات على مجتمعات أخرى.

كذلك الأمر تهدف هذه المادة إلى بيان مدى تأثير العوامل الجغرافية والبيئية التي تحيط بمجتمع ما التي درست من طرف العلماء الغربيين ومدى فاعليتها في مجتمعاتنا.

ثالثا: محتوى المادة:

* التعرف بشـــكل معمق على النظريات الغربية الحديثة والتي كان لها الفضـــل في تطور تخصص علم الاجتماع.

* بيان الهدف من دراسة مادة الدراسات المؤسسة لعلم الاجتماع.

* توضيح الغاية من دراسة هذه النظريات ومدى فاعليتها.

* إعطاء لمحة عامة عن النظريات الغربية التي تدرس المجتمع.

البرنامج:

أولا: الانتحار عند أيميل دوركايم

ثانيا: تجارب هاوثورن " إلتون مايو"(Elton Mayo)

ثالثا: ميدلتاون لروبيرت ليند

رابعا: يانكي سيتي "لويد وارنر William Lloyd Warner"

خامسا: اختيار الشعب عند بول لازار سفيلد

سادسا: التناقض الأمريكي عند غونار ميردال

سابعا: هوارد بيكر "الغرباء"

ثامنا: الجندي الأمريكي لصموئيل ستوفر

تاسعا: ثقافة الفقر لاوسكار لويس

عاشرا: الفلاح البولندي ويليام توماس وفوليان زنانيكي

خامسا: المهارات المكتسبة

تهدف هذه المادة إلى إكساب الطالب المهارات التالية:

1. إكســـاب الطالب مهارة التنظير ومدى ملائمة النظرية مع الموضـــوع المختار في مذكرة التخرج.

2. إكســاب الطالب مهارة تحديد الأســلوب الأفضــل لاختيار النظريات المناســبة لكل فروع علم الاجتماع.

3. تعريف الطالب بالنظريات الغربية الحديثة التي أجريت في القرن العشرين وكان لها الفضل في تطور علم الاجتماع.

الدرس الأول:

أولا: الانتحار عند أيميل دوركايم

نبذه عن حياة العالم إميل دوركايم (1858-1917م):

"ولد إميل دوركايم في 15 افريل 1858م في بلدة ابينال بالقرب من سهل اللورين الذي يشتمل على بعض المدن الفرنسية. وفي أحضان أسرة يهودية نشأ دوركايم فهو أحد أحفاد كبار أحبار اليهود ولد في أسرة تنحدر أصلا من حاخامات المذهب الرباني اليهودي الذين يدينون بالمذهب العبراني الجديد ولذلك اتجه دوركايم منذ طفولته وصباه نحو دراسة التلمود والعهد القديم كما درس أيضا العبرية والتاريخ ثم هجر اللغويات كي يدرس تاريخ الأديان.

والى جانب اليهودية تأثر دوركايم بتعاليم الديانة الكاثوليكية تلك التي لقنتها إياه إحدى مدرساته الكاثوليكيات وهي امرأة لها فضل تربيته وتثقيفه ودرايته بتعاليم الدين الكاثوليكي التي تلقاها من هده الكاثوليكية التي كان لها أثرها الواضح في نشأته الدينية تلك التي غلبت على معظم كتاباته السوسيولوجية فجاءت دراساته في علم الاجتماع الديني ذات مسحه صوفية متميزة.

وفي عام1878م ذاعت شهرة دوركايم ثم انتقل للتدريس بجامعة بوردو وألقى دروسا في علم الاجتماع العائلي والجنائي وفي التضامن الاجتماعي والانتحار وفي التربية والدين كما ألقى دروسا في تاريخ المذاهب السوسيولوجية وفي المسئولية والجزاء والتنظيم الاجتماعي للقبائل الاسترالية القديمة".[1]

[1]- بدر يحيى مرسي، علم الاجتماع مقدمة في سوسيولوجيا المجتمع، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2008، ص ص 74- 75.

"توفي دوركايم في 15نوفمبر1917م بعد الصـدمة التي تلقاها بمقتل ابنه الوحيد في عمليات الحرب العالمية الأولى ,الابن الذي خطط والده أن يكون وريثه العلمي .ذلك أن دوركايم جعل ابنه يتخصص بموضوع علم اجتماع اللغة .وبعد مقتل ولده في الحرب فقد إميل دوركايم أمل العيش في الحياة فمات وهو يحمل الأفكار المرة عن الحياة وويلاتها وعدم استقرارها.

يعتبر دوركايم احد دعائم الحركة العلمية في النصـف الأخير من القرن التاسـع عشـر وأوائل القرن العشرين .وهو مؤسس علم الاجتماع الحديث وزعيم المدرسة الفرنسية (الوظيفية) لعلم الاجتماع"[2].

ومن أهم مؤلفـاتـه: "تقسـيم العمـل الاجتمـاعي.(1893)، قواعـد المنهج في علم الاجتماع.(1895)، الانتحار.(1897)، التربية الخلقية.(1903)، الصـورة الأولية للحياة الدينية.(1912)، علم الاجتماع والفلسـفة.(1924)، المجلة السـنوية لعلم الاجتماع عام 1896 التي أصبحت لعدة سنوات المجلة الرئيسية للفكر الاجتماعي والبحث في فرنسا".[3]

وهناك ثلاثة عوامل شـكلت تفكير دوركايم: "المذهب العقلاني عند ديكارت بتأكيده القوى للتحليل الصـوري، وعصـر التنوير الذي يعد بعصـر جديد يتحقق فيه الاسـتخدام الحر للعقل ,ثم وضـعية أوجسـت كونت التي أنارت الطريق لوجود علم جديد للمجتمع ,بمنهجه ومدخله واتخذ مكانا مع العلوم الأخرى في قدرته على اكتشاف القوانين واستخلاص التعميمات والقيام بالتنبؤ. والى جانب هذه التأثيرات التكوينية لم تفشـل نظرية التطور في أن تترك بصـمة على تفكير دوركايم فقد سـاعدته على رؤية المجتمع في ضـوء النمو العضـوي وتشـابك الأجزاء، ولذلك أصـبح المسـرح مسـتعدا ليقوم دوركايم بتقديم أعظم إسـهام في علم الاجتماع قدمه إنسـان، وبدون دوركايم لسـار تاريخ علم الاجتماع في اتجاه آخر .وبدونه لكان علم الاجتماع في خطر بالغ من رده إلى علم النفس الذي كان في ذلك الوقت علما أكاديميا كما كان الجو

---

[2]- **الحسن إحسان محمد، رواد الفكر الاجتماعي، دار وائل للنشر، بغداد، 1999، ص 224.**
[3]- **بيومي محمد احمد، أسس وموضوعات علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، 2000، ص134.**

العام أكثر قبولا بنسق فكري يفسر القوى التي تحرك المجتمع في ضوء الدوافع السيكولوجية والغرائز والإشباعات".[4]

المجتمع وعلم الاجتماع لدى دوركايم

تعريف المجتمع عند دوركايم : "المجتمع لا يمكن أن يستمر إلا إذا وجدت درجة كافية من التجانس والتربية ترسخ وتدعم هذا التجانس، أما وظيفة المجتمع فهي تحقيق التجانس,وأدوات التجانس هي التربية، أن المجتمع هو قبل كل شي ضمير وهو ضمير المجموعة الذي يجب إيصاله إلى الطفل".[5]

"ويتكون المجتمع من: النظم الاجتماعية أو القواعد الاجتماعية، الظواهر أو الوقائع الاجتماعية. وهي أنماط متكررة من السلوك الجماعي يشعر بها أفراد المجتمع. قوى عقلية أو فكرية أو تيارات فكرية ثقافية تتحكم في السلوك أو الفعل الاجتماعي.[6]

تعريف علم الاجتماع عند دوركايم: "علم يهتم بالظواهر الاجتماعية والالتزامات الأخلاقية الجمعية وخاصة تلك الظواهر التي تقهر الفرد على أن يسلك سلوكا معينا داخل الجماعة.

تقسيم دوركايم لعلم الاجتماع: صنف ميادين علم الاجتماع في ثلاث موضوعات رئيسية:

1.المورفولوجيا الاجتماعية وهي عبارة عن التركيب الجغرافي وكثافة السكان.

2.الفسيولوجيا الاجتماعية وهي التي تتضمن العمليات الديناميكية كالعقيدة والأخلاقيات والقانون والحياة الاقتصادية .

[4]- بدر يحيى مرسي، علم الاجتماع مقدمة في سوسيولوجيا المجتمع، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2008، ص ص 75- 77.

[5]- الغريب عبد العزيز بن علي، نظريات علم الاجتماع، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2009، ص152.

[6]- نفس المرجع السابق، ص150.

3.علم الاجتماع العام أي العلم الشـامل الذي يجمع النتائج والقوانين العامة التي تصـل إليها فروع علم الاجتماع مهما تباينت مقدمات تلك النتائج وأساليب استنباط تلك القوانين".[7]

أسس الدراسة ومنهجية البحث عند دوركايم :

"ينظر دوركايم إلى علم الاجتماع من حيث كونه يهتم بدراســة المجتمع وما ينبعث عنه من ظواهر دراســة علمية وصـفيه تحليلية. ولكي يتحقق هذا فانه لابد من منهج علمي يسـتطيع بفضله الوصول إلى قوانين الظواهر".[8]

قواعد المنهج العلمي عند دوركايم:[9]

*"ضــرورة تحرر الباحث الاجتماعي بصــورة كلية من كل فكرة ســابقة يعرفها عن الظاهرة موضوع الدراسة والبحث.

*ضرورة تخصيص مبحث أو فصل من البحث لتحديد معنى المصطلحات والمفاهيم العلمية التي يستخدمها الباحث في دراسته العلمية. وهذه المصطلحات تعبر عن الظواهر الاجتماعية التي يدرسها الباحث.

*عند قيام الباحث بدراســة الظواهر الاجتماعية المحددة في دراســته عليه ملاحظة هذه الظواهر. وهذا شرط ضروري حتى يمكن التوصل إلى الصفات الثابتة التي تتيح لنا الكشف عن حقيقة الظواهر الاجتماعية ومن ثم تسمح لنا بالكشف عن القانون الذي تخضع له".

أما خطوات منهج دوركايم في علم الاجتماع فيمكن درجها بالنقاط التالية:[10]

1."دراسة مكونات الظاهرة وتحديد عناصرها الأساسية لكي يتمكن الباحث من فهمها.

---

[7]- بيومي ، مرجع سابق، ص136.
[8]- الغريب، مرجع سابق، ص150.
[9]- الحسن، مرجع سابق، ص ص 235-236.
[10]- الحسن، مرجع سابق، ص ص 237- 238.

2.دراسة أشكال الظاهرة في كل مرحلة من مراحل تطورها لربط ماضي الظاهرة بحاضرها بطريقة منطقية.

3.دراسة علاقة الظاهرة بالظواهر الأخرى المشابهة وغير المشابهة لها.

4.الاستفادة من منطق المقارنة بين الظاهرة والظاهرة الأخرى.

5.التعرف على الوظيفة التي تؤديها الظاهرة الاجتماعية وتطوير تلك الوظيفة في مختلف المراحل التي تمر بها الظاهرة الاجتماعية.

6.تحديد القوانين التي يتم استخلاصها من الدراسة بصورة دقيقة باعتبارها الهدف الرئيسي للعلم.

وقد تصاغ هذه القوانين في صور كمية تعبر عن الظاهرة بالأرقام أو في صور كيفية تحدد الخواص والصفات العامة والدعائم الأساسية التي تقوم عليها الظاهرة. وهذا كله لابد أن يؤدي إلى رفع قيمة وفاعلية علم مابين غيره من العلوم.

وكما يهتم المنهج عند دوركايم بالطريقة التاريخية فانه يهتم أيضا بطريقة المقارنة ويعتقد دوركايم بان البحث عن العلاقات السببية بين الظواهر الاجتماعية ليس إلا جانبا مهما من الجوانب التي يهتم بها علم الاجتماع لذلك حاول أن يطور منهجا وظيفيا يلاءم دراسة الظواهر الاجتماعية، علما بان النزعة الوظيفية عند دوركايم هي بديل للمنهج الغائي الذي تكشف عنه كتابات كونت وسبنسر".

الظاهرة الاجتماعية عند دوركايم: عرفها بأنها طرق للسلوك والتفكير والشعور خارجة عن الفرد ولها من قوة التأثير ما تستطيع به أن تفرض نفسها على الفرد.[11]

[11]- بدر، مرجع سابق، ص 77.

صفات الظاهرة الاجتماعية:

*"الظاهرة الاجتماعية هي ظاهرة موضـــوعية لها وجود خاص خارج شـــعور الأفراد الذين يلاحظونها ويحسون بها لأنها ليست من صنعهم بل يتلقونها من المجتمع الذي تنشا فيه.

*الظاهرة الاجتماعية ليست هي وليدة التفكير الذاتي عند الأفراد.

*الظواهر الاجتماعية هي ظواهر شـيئية وهذه الخاصـية هي التي اعتمد عليها دوركايم في تأسيس علم الاجتماع ذلك انه شبه حقائق العالم الاجتماعي بحقائق العالم الخارجي.

*الظواهر الاجتماعية هي أشياء خارجية بالنسبة لشعور الأفراد، فالفرد يقبل الظاهرة ويخضع لها ويستسلم كما لو كانت قوة خارجية.

*للظاهرة الاجتماعية صفة الإلزام أو القهر.أي تفرض نفسها على شعور وسلوك الفرد.

*الظاهرة الاجتماعية هي ظاهرة إنسانية تنشا بنشأة المجتمع الإنساني.

*تمتاز الظاهرة الاجتماعية بأنها تلقائية أي من صنع المجتمع ومن خلقه.

*الظاهرة الاجتماعية هي ظاهرة عامة وعمومية الظاهرة ناجمة من صفة القهرية.

*تمتاز الظاهرة الاجتماعية بصـــفة الترابط، بمعنى أن كل ظاهرة اجتماعية مترابطة مع الظاهرة الأخرى".[12]

فكرة الضـــمير الجمعي: "احد المفاهيم الكبرى لدى دوركايم أما من حيث القانون والأخلاق والضبط الاجتماعي فهناك ولاء ملحوظ للضمير الجمعي الذي يعني مجموعة من المعتقدات والعواطف العامة بين أعضاء المجتمع والتي تكون نسقا خاصا ومثل هذا الضمير له وجوده

[12]- الحسن، مرجع سابق، ص ص 227-228-229.

الخاص المتميز فهو يدوم عبر الزمن ويعمل على توحيد الأجيال ,والضـــمير الجمعي يعيش بين الأفراد ولكنه يتميز بالقوة والاستقلال وبخاصة حينما تزداد درجة التشابه بين الأفراد.

وتعكس دراسـة الضـمير الجمعي عند دوركايم نظريته عن القهر الاجتماعي .وترتبط معالجته للظواهر الاجتماعية ارتباطا وثيقا بمناقشـــة الضـــمير الجمعي، حيث يعد المفهوم من مفاهيم دوركايم الرئيسية حيث عرفه بأنه: "مجموعة من المعتقدات والعواطف المشتركة لدى متوسط أعضاء المجتمع الواحد والتي تشكل نظاما اجتماعيا محددا له حياته الخاصة به".

ويعتمد الضـــمير الجمعي في وجوده على الأحاســـيس والعواطف والمعتقدات الموجودة في الضـــمير الفردي. وبالتالي أوضـــح أن هناك ارتباطا ذا تثير متبادل بين الضـــمير الجمعي والأفكار الاجتماعية في الواقع الاجتماعي نتيجة الضـغوط التي يمارسـها الضـمير الجمعي على أعضائه.[13]

تقســيم العمل: "يعتقد دوركايم أن ظاهرة تقســيم العمل ليســت حديثة النشــأة ولكن الجانب الاجتماعي منها كان أكثر ظهورا في أواخر القرن الثامن عشــر ولقد تطورت إلى الحد الذي جعلها عامة وواضحة لكل فرد ولعل الاتجاه الذي اتخذته الصناعة الحديثة يكشف لنا بوضح مدى عمومية وانتشـــار هذه الظاهرة والصـــناعة تهدف إلى تقســـيم العمل إلى ابعد الحدود وأصـبحت المهن منعزلة متخصـصـة ليست فقط داخل المصـنع بل أصـبح كل إنتاج في حد ذاته متخصـــصـــا من ناحية ومعتمد على غيره من ناحية أخرى كذلك في معظم قطاعات المجتمع سواء في الوظائف الإدارية أو العلمية أو غيرها ونجد شبيها لذلك أيضا في الكائنات العضوية والمجتمعات. ويرى دوركايم انه لكي نصل إلى تعريف موضوعي لتقسيم العمل لابد من ملاحظته ومقارنته ودراسـته كحقيقة موضـوعية ولما كان تقسـيم العمل يتضـمن كل من القوة الإنتاجية وقدرة العامل لذلك فهو شـرط ضـروري لتقدم المجتمعات سـواء أكان فكريا أو

[13]- الغريب، مرجع سابق، ص156.

ماديا، والوظيفة الأساسية لتقسيم العمل انه يخلق شعورا بالتضامن والتماسك والترابط بين الأفراد علاوة على ذلك له اثر ملحوظ وواضح في زيادة الوظائف المقسمة المتخصصة".[14]

"تقسيم العمل يختلف باختلاف حجم المجتمع وكثافة السكان وشدة التفاعل الاجتماعي فازدياد السكان عامل أساس لتقسيم العمل ويعتبر كتابه تقسيم العمل أهم النصوص المنهجية في علم الاجتماع والتي حللت التصورات الطارئة خلال القرنين 18 و19م لذا خصص دوركايم الكتاب ليوضح رأيه في إمكانات تطبيق المقاربة الوظيفية من مبدأ يعتبر الوظيفية مبدأ نسبيا منهجيا. وهو يرى انه قد ترتب على تقسيم العمل شدة الصراع من اجل البقاء والاستمرار، فكثرة العدد تفرض على الأفراد ضرورة التخصص المهني مما يقلل من حدة الصراع ويتيح فرصة أوسع للحصول على وسائل الحياة.

وعن الوظيفة الايجابية لتقسيم العمل يرى دوركايم أن تقسيم العمل وما يترتب عليه من تباين بين الأفراد يعمل على تدعيم نوع من التماسك المتبادل في المجتمع وينعكس هذا التساند المتبادل على العقلية الإنسانية والأخلاقيات كما انه يبرز في ظاهرة التضامن العضوي ذاتها. وكلما ازداد هذا التضامن رسوخا قلت أهمية الضمير الجمعي. وهكذا يستبدل القانون الجنائي القائم على جزاءات رادعة بقانون مدني إداري يهدف إلى حفظ حقوق الآخرين بدلا من العقوبة".[15]

التضامن والتغير الاجتماعي: "يعتبر من إسهامات دوركايم تصوره وجود شكلين أساسين من التضامن بين أفراد المجتمع يعكسان بصورة أساسية نظريته نحو التطور والتغير الاجتماعي وهما:

1.التضامن الآلي: وهو إحدى خصائص المجتمعات التقليدية التي يتضاءل فيها نظام تقسيم العمل. حيث يحدث نوع من التماثل والتشابه بين أنماط العمل السائدة في هذه المجتمعات

---

[14]- بيومي، مرجع سابق، ص 142.
[15]- الغريب، مرجع سابق، ص157.

كما تظهر المعايير الاجتماعية باعتبارها قوة ضـــاغطة وتمارس نوعا من القهر والإجبار. وتحدث نوع من التماســـك حيث تتمثل المعايير والأعراف والتقاليد والقيم وتتقارب وجهات النظر والآراء إلى درجة كبيرة.

2.**التضــامن العضــوي:** وهو إحدى خصــائص المجتمعات الحديثة المتقدمة التي تقوم على نظم معقدة لتقســـيم العمل وتنوع نمط العلاقات التعاقدية التي تؤدي إلى انخفاض درجة التضـــامن الاجتماعي وندرة مظاهر التضـــامن. كما تؤدي إلى تفكك العلاقات الاجتماعية وضـــعف قوة الضـــبط الاجتماعي وظهور مظاهر متعددة للانحراف والجريمة والتعدي على حقوق الآخرين".[16]

ظاهرة الانتحار: تمثل دراســـة دوركايم عن الانتحار 1897 مكانة هامة في الدراســـات الســـوســـيولوجية وكتابه هذا باجتماع معظم علماء الاجتماع يعتبر رائدا في تطبيق المنهج الإحصـــائي(الكمي) في دراســـة الظواهر الاجتماعية، وهم يرون أنها أكثر ما تكون دراســـة إحصائية ذلك لأنه عرفنا كيف يمكن أن ندعم البيانات التجريبية في موقف نظري معين.

تعريف ظاهرة الانتحار عند دوركايم:"يشير الانتحار إلى كل حالات الموت التي تكون نتيجة مباشـــرة لفعل ايجابي أو ســـلبي قام به الشـــخص المنتحر وهو يعلم انه ســـيؤدي إلى هذه النتيجة"[17].

التعريف اللغوي للانتحار: هو" كل فعل أو أفعال يقوم بها صـاحبها لقتل نفسـه بنفسـه وقد تم له ذلك وانتهت حياته نتيجة هذه الأفعال"[18].

---

[16]- الغريب، مرجع سابق، ص ص 154- 155.
[17]- بيومي، مرجع سابق، ص ص 146- 147.
[18]- فايد حسين، دراسات في السلوك الشخصية، ط1، القاهرة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، 2004، ص288.

وفي لسان العرب الانتحار مصدر للفعل انْتَحَرَ، وهو إصابة الإنسان نفسه لقصد إفنائها، ويُقال الانتحار هو الإجهاز على النفس ذاتها بأي طريق كان. ويقال: انتحر الرجل أي نحر نفسه.[19]

وفي تاج العروس "سُرق السارق فانتحر. وهو مجاز". ومعنى المجاز هنا: هو أن السارق لم يسرق إلا ليكتسب من المال المسروق، ويملكه هو، فلما لم يحصل على مراده من ذلك، وكأنه أصيب بصعقة وكارثة خيبت آماله، فتراه كأنه يقتل نفسه كآبة وحزناً وهماً وغماً، فكأنه انتحر"[20].

وفي معجم مقاييس اللغة: لفظ النحر عام، والانتحار خاص، فالنحر يكون للإنسان وغيره. فيدخل في ذلك: قتل الإنسان غيره، وقتل الإنسان نفسه. وقتل الإنسان لغيره مطلقاً، سواء كان آدمياً أم حيواناً فكله ذبح وقتل ونحر"[21]. وفي المعجم الوسيط: " انتحر الرجل أي: قتل نفسه بوسيلة ما"[22]

وعند تناول التعريف الاصطلاحي للانتحار يجب التمييز بين نوعين من الانتحار هما الانتحار الحقيقي، أي الموت الجسدي، والانتحار النفسي. فالانتحار الحقيقي يعرف بأنه " قتل الإنسان لنفسه عمداً. أما الانتحار النفسي Psychique Suicide". يعرف بأنه: نوع من الانتحار غير الصحيح حيث يزهد البعض في الحياة تماماً ويبغضونها، وتدفعهم عوامل اليأس إلى تحطيم أنفسهم فيصابون بحالات مرضية"[23].

---

[19]- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (د.ت)، لسان العرب، ص75.

[20]- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد العليم الطحاوي. المجلد الرابع عشر، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، 1394ه، ص 184.

[21]- ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة تحقيق:عبد السلام هارون، ط2، المجلد الخامس، القاهرة:شركة ومطبعة الحلبي وأولاده، 1392ه، ص 400.

[22]- مصطفي، إبراهيم وآخرون (ب.ت) المعجم الوسيط. المجلد الثاني تركيا: المكتبة الإسلامية، 1392ه، ص906.

[23]- فايد حسين، مرجع سابق، ص288..

ويعد دوركايم (1967) Durkheim أول من تناول مفهوم الانتحار فقد عرفه على أنه " كل حالات الموت التي تنتج بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن فعل إيجابي أو سلبي يقوم به الفرد بنفسه " وهو يعرف أن هذا الفعل يصل إلى هذه النتيجة أي "الموت"[24].

كما أشار بيك وآخرين (1979).Beck et al إلى " أن الانتحار ليس حدثاً منعزلاً، بل هو عملية معقدة، وأن السلوك الانتحاري يمكن تصوره باعتباره واقعاً على متصل لقوة كامنة تشمل تصور الانتحار، ثم التأملات الانتحارية، ثم محاولة الانتحار، وأخيرا إكمال هذه المحاولة الانتحارية ".[25] وتتفق وجهة نظر كل من بونر وريتش (1987) مع ما أشار إليه بيك (1979) في أن السلوك الانتحاري عملية دينامية معقدة بدلاً من كونه حدثاً منعزلاً ثابتاً فالسلوك الانتحاري " عملية مركبة من مراحل مختلفة تبدأ بتصور الانتحار الكامن، وتتقدم خلال مراحل من تأمل الانتحار النشط، ثم التخطيط للانتحار النشط، وفي النهاية تتراكم محاولات انتحار نشطة لدى الفرد، وقد يتذبذب مركز الفرد في هذه العملية وفقاً لتأثير العمليات البيولوجية والنفسية الاجتماعية".[26].

أنواع الانتحار عند دوركايم:[27]

1."انتحار الوحدانية أو العزلة الاجتماعية (Egoistic Suicide): يظهر هذا النوع من الانتحار نتيجة لانعزال الفرد عن المجتمع لسبب ما يتعلق بالفرد نفسه أو يتعلق بالمجتمع الذي ينتمي إليه الفرد ويتفاعل معه، فهذا الفرد لا يستطيع تكوين علاقة طبيعية مع المجتمع لعدم تذوقه لقوانين وعادات المجتمع وسخطه على نظامه ووضعه العام، والمجتمع من جانبه لا يعطي المجال للفرد للتفاعل معه والانسجام مع مؤسساته البنيوية نظرا لتناقض ميوله

---

[24]- سمعان، مكرم (1964م) مشكلة الانتحار، دراسة نفسية اجتماعية للسلوك الانتحاري بالقاهرة. القاهرة: دار المعارف، 1964، ص 45.

[25] - Bech, A. et al. (1979). Assessment of Suicidal Ideation: The Scale for Suicidal Ideation, Journal of Consulting & Clinical Psychology, Vol. 47, 343-344.

[26] - Bonner, R. & Rich, A. (1987). Toward a predictive model of suicidal ideation and behavior: Some preliminary data in college students, Suicide & Life-Thereatening Behavior, Vol. 17, 50-51.

[27]- الحسن، مرجع سابق، ص ص 247- 249.

واتجاهاته ومصـــالحه وأهدافه وقيمه مع تلك التي يتمســك ويؤمن بها الفرد. لذا يشــعر الفرد بالبعد والاغتراب عن المجتمع وهنا يفقد آماله وطموحه ويضـيع كل شــي له علاقة بالمجتمع ويفشــل في تذوق ثمرة عمله وجهوده، لذا تنعدم عنده معاني الحياة الســامية ويفقد مثله وقيمه ومقاييســه بعد ذلك يصــاب بمرض نفســي خطير قد يؤدي به إلى الانتحار. وهذا النمط من الانتحار غالبا ما يصـــيب الأشـــخاص المعدمين والمحرومين والذين يعانون من الأمراض النفسية والعقلية.

2.انتحار التضـحية في سـبيل الآخرين (Altruistic Suicide): يعتبر انتحار التضـحية في سـبيل الآخرين مناقضـا من حيث أسـبابه ودوافعه لانتحار الوحدانية فهو ناتج عن شـدة تماسـك وانسـجام الفرد مع جماعته وقوة علاقته الاجتماعية معها ذلك أن جماعته كما يعتقد لها أهميتها وفاعليتها في وجوده وكيانه فهو لا يســـتطيع العيش دون وجودها ويكون معتمد عليها ومتأثر بتعاليمها وفلسـفتها وأسـاليبها السـلوكية كما يكون مسـتعدا على التضـحية بماله ونفسه من اجل بقائه واستمرارها إذا تعرضت للخطر والتهديد وعندما تتعرض الجماعة لخطر العدوان أو التفكك فانـه يقوم بـالدفـاع عنهـا بكل مـا يملك من قوة وبـاس، وفي أحيـان كثيرة ينتهج الصـــيغ الانتحارية لإنقاذها من مأزق التشـــتت والانهيار والفناء. وإذا فشـــل في إنقاذ الجماعة من الخطر فإنه يقدم على الانتحار علما منه بأنه لا يسـتطيع العيش بدونها ولا يريد مشـاهدة وضـعها البائس والمتشـتت بعد عجزها في درء الأخطار والتحديات عنها والعمليات الانتحارية التي يقوم بها بعض أفراد القبائل عندما تتعرض قبائلهم بالغزو والاحتلال والســبي من قبل القبائل الأخرى إلا مثال حي على هذا النوع من الانتحار.

3. انتحار التفســـخ الاجتماعي (Anomic Suicide): يظهر هذا النوع من الانتحار عندما يفشـــل المجتمع في الســـيطرة على ســـلوك وعلاقات أفراده، وعندما تتفســـخ الأخلاق والآداب والقيم وتضـعف العادات والتقاليد وتعم الفوضـى والفسـاد في ربوع المجتمع وهنا يفقد الفرد آماله وطموحاته وتضـــعف أو تنعدم عنده الرغبة في التفاعل مع الآخرين والانســـجام

معهم. وعندما يشعر الفرد بعدم قدرته على وضع حد لهذه الحالة المتفسخة والشاذة وعجزه عن تغيير المجتمع نحو الأحسن فانه يصاب باليأس والقنوط وانعدام الآمال والأهداف. ومثل هذه الحالة تلحق به المرض النفسي والكآبة والاشمئزاز من الحياة. إذن التفسخ الاجتماعي(Anomie) الذي يعبر عن نفسه في ارتباك موازين الحياة واضطراب قيمها ومقاييسها وتشتت آمال وأهداف الفرد وتناقض مصالحه مع مصالح المجتمع لابد أن يدفع عدد غير قليل من أبناء المجتمع إلى الانتحار. أما الأفراد الذين يتعرضون لهذا النمط من الانتحار فهم المطلقون والمطلقات والذين يتعقدون بقيم ومقاييس ومثل معين اكتسبوها من وسط المجتمع الذي عاشوا فيه وتفاعلوا معه وعندما تغير هذا المجتمع وتغيرت معه القيم المقاييس والمثل لم يستطيع الأفراد المسنون مثل تغير قيمهم ومثلهم القديمة وإدخال القيم الجديدة التي دخلت المجتمع مؤخرا. وهنا يتعرض هؤلاء إلى عدم التكيف مع المجتمع الجديد فيفقدوا طموحاتهم وأهدافهم ويصبحوا من نقاد المجتمع والحاقدين عليه وعندما يفشلون في تغيره أو إصلاحه وفق أفكارهم وقيمهم وميولهم واتجاهاتهم فأنهم سرعان ما يصابون بخيبة الأمل واليأس ومثل هذه الحالة المأساوية قد تدفع بعضهم إلى الانتحار لتخلص من الحياة ومنغصاتها".

نظرية دوركايم في الدين: "قد يكون كتاب دوركايم "الصور الأولية للحياة الدينية"(1912) أجرئ كتاب لدوركايم. وهو يقوم على أساس افتراض كانت الاثنولوجيا تعتبره افتراضا كاذبا أو على الأقل غير دقيق، وهذا الافتراض يقول بالتحديد أن الطوطمية ليست سوى دين وعلى أي حال فمازال دوركايم يعتقد أن الدين ليس وهما ولكنه بداية لكل الثقافات والحضارات. فالدين هو جوهر الجماعة، انه القوة الغامضة التي يشعر بها الأفراد وتوثر فيهم إذا لم يكونوا بمفردهم وإذا تجمعوا معا للقيام باحتفال مشترك. انه الشيء الذي يشتركون فيه جميعا انه ينظم حياتهم ويعطيهم الشعور بالأمن والسعادة ولكنه يفرض عليهم سلوك الجماعة الأخلاقي، وان سلوك التوحد مع القوة الخارقة للطبيعة يتحقق في طقوس الأضحية وفي طقوس

الاستعداد للصيد البري أو صيد السمك أو الحرب، كما يوجد هذا السلوك في الإشارات والرموز والممارسات السحرية والتي من خلالها يظهر التنظيم الاجتماعي. أي أن التنظيم الاجتماعي الذي يشعر به أعضاء الجماعة ويمارسونه إنما ينعكس في الدين[28].

استنتاج:

1."أكد على ضرورة فهم الظاهرة الاجتماعية لأسباب اجتماعية مما أدى إلى استقلالية علم الاجتماع.

2.استخدم المنهجية العلمية التي اعتمدت على لغة الكم في فهم الظواهر الاجتماعية عندما استخدم المنهج الإحصائي الذي أعطى تكاملا لفهم الظاهرة في علم الاجتماع.

3.استخدم الملاحظة والتجربة كطرق منهجية في فهم الظواهر الاجتماعية.

4.ابتداعه للعقل الجمعي واستخدام هذا المفهوم لتفسير الظواهر.

5. تأكيده على فكرة الموضوعية والحياد الأخلاقي بمعنى تقرير الأشياء كما هي في الواقع وأن لا يقحم الباحث ذاته في الدراسة.

6.أصر على استخدام عامل الدين لفهم الظواهر الاجتماعية.

أهم الانتقادات الموجهة لدوركايم:

1.لقد اتهم دوركايم بالمادية عندما نادى بان الظواهر الاجتماعية يجب أن تدرس كأشياء.

2.انه تحمس أكثر من اللازم لسوسيولوجيته وتغالى في تفسير الحقيقة الاجتماعية بحقيقة اجتماعية أخرى واشترط في استبعاده بعض المؤثرات الأخرى في الحياة الاجتماعية.

---

[28]- بدر، مرجع سابق، ص 79.

3.في دراســته عن الانتحار لم يلتفت إلى العوامل الاجتماعية طبقا لما نادى به وهو تفســير الظاهرة الاجتماعية بظاهرة اجتماعية أخرى.

4.أوجه النقص الأســاسـية في نظريات دوركايم إنما ترجع إلى ذلك التصـور الذي يتأتى من تعاريفه، فالتعريفات بالنســـبة إلى ذلك تعريفات مبدئية بمعنى أنها تظل دائما في حاجة إلى تعديل كما أن أفكاره المنهجية الأســاســية مثل شــيء وواقعه وميكانيكي وموضــوعي والفرد والقهر كانت معاني متعددة غامضة ويستخدم المصطلح في معاني مختلفة.

5.نزعته المحافظة أي تأثره بظروف عصره وقد كتب دوركايم خلال فترة تفكك اجتماعي.

6.اعتمد على تاريخ مجتمعات بعينها لتأييد وجهة نظره في تطور الأشـــكال الاجتماعية، وأهمل المجتمعات الأخرى مما افقد نظريته الشمول والعمومية.

7.في تحديده الظاهرة الاجتماعية بالجبرية والتلقائية قد طمس بذلك فاعلية الإنســـان وجعله عبدا لمصـير مجهول ومعنى ذلك أن الناس يخرجون إلى العالم وهم لا يملكون إلا أن يكونوا سلبيين يقبلون علاته".[29]

[29]- بيومي، مرجع سابق، ص ص 158- 159.

الدرس الثاني:

ثانيا: تجارب هاوثورن " إلتون مايو"(Elton Mayo)

نبذة تاريخية عن التون مايو:[30]

هو جورج التون مايو مؤسس نظرية العلاقات الإنسانية التي جاءت كرد فعل على إهمال النواحي النفسية والاجتماعية، وهو عالم نفس واجتماع استرالي، ولد باستراليا في 26 ديسمبر، عمل كأستاذ محاضر بجامعة كوبزلانر (1911- 1923) ثم بجامعة بانسل فانيا، لكنه قضى معظم حياته المهنية في مدرسة الهاربارد للعالم (1923- 1947).

أجريت تجارب هاوثورن التي تعرف أيضا بشركة ولسترن إلكتريك في دائرة الهاوثورن بمدينة شيكاغو في الفترة الممتدة (1927- 1932)، تحت إشراف مشترك من بعض العاملين بالشركة وفريق من الباحثين بجامعة هارفارد بقيادة التون مايو.

وقد نشر تقرير البحث النهائي تحت عنوان الإدارة والأعمال 1939، لكن سبقه موجز بالنتائج ظهر قبل ذلك بعدة سنوات في كتاب مايو قدم عرضا مختصرا ومبسطا للنتائج، ظهر قبل ذلك بعدة سنوات في كتاب تحت عنوان المشكلات الإنسانية للحضارة الصناعية، مع أن مايو قدم عرضا مختصرا ومبسطا للنتائج، لكنه صاغها في منظور أوسع يوضح صلتها بمفهوم الانومي عند دوركايم وهو يرى أن الصناعة تحتاج إلى مستوى عالي من القدرات والمعارف الإدارية من اجل المحافظة على الاتصال والتعاون المطلوبين للكفاءة الإنسانية والسعادة الشخصية للإنسان".

مفهوم العلاقات الإنسانية:

[30]- صلاح التنواني، إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية، الإسكندرية، دار الجامعات المصرية، 1976، ص360.

يرى العلماء أن العلاقات الإنسانية حصيلة الاتصال بين الفرد والمجتمع ففي الجوانب النفسية والاجتماعية التي تعمل على تنظيم علاقة الفرد بالآخرين والمجتمع. وتعمل على ضـــمان تكيف الفرد وتوازنه ليتمكن من أداء مهامه وأدواره بطريقة منتظمة ومنســـجمة مع أنظمة المجتمع وقوانينه المختلفة.[31]

ولهذا بدأ العلماء في الحديث عن دور العلاقات الإنســـانية في بلورة الإدارة الناجحة والقادرة على الاهتمام بمطالب الإنسـان الشـخصـية والاجتماعية والمهنية وغيرها.[32] ولكنها بالمعنى الســـلوكي يقصـــد بها عملية تنشـــيط واقع الأفراد في موقف معين مع تحقيق توازن بين رضـاءهم النفسـي وتحقيق الأهداف المرغوبة. ويقصـد بها أيضـاء الأسـاليب السـلوكية والوســـائل والأســـاليب التي يمكن بها اســـتثارة دافعية الناس وحفزهم على المزيد من العمل المثمر المنتج وتركز العلاقات الإنســـانية على الأفراد أكثر من تركيزها على الجوانب الاقتصـادية أو المادية وهي ليست مجرد كلمات طيبة أو عبارات جميلة وإنما هي تشـير إلى تفهم عميق لقدرات الناس وطاقاتهم وإمكانياتهم وظروفهم ودوافعهم وحاجاتهم واســـتخدام كل هذه الظروف والعوامل لحفزهم للعمل وتسعى لتحقيق هدف واحد في جو من التفاهم والتعاون والتعاطف والتحاب.[33]

كما يمكن تعريف العلاقات الإنســـانية في مجال العمل بأنها مجال من مجالات الإدارة يعنى بإدماج الأفراد في موقف العمل بطريقة تحفزهم إلى العمل معا بأكثر إنتاجية مع تحقيق التعاون بينهم وإشـــباع حاجاتهم الاقتصـــادية والنفســـية والاجتماعية، ويتضـــح في هذا أن للعلاقات الإنسانية ثلاثة أهداف:

1-تحقيق التعاون بين العاملين.

---

[31] -دائرة التوثيق التربوي، معلومات تربوية، مسقط:وزارة التربية والتعليم، 1999، ص52-53.

[32] -محمد رضا البغدادي، ندوة الإدارة المدرسية تجديد وتجويد:ورقة العلاقات الإنسانية ودورها في تطوير الأداء،(د.م):دائرة الإشراف التربوي، 2000، ص302.

[33] -محمد منير مرسي، الإدارة التعليمية:أصولها وتطبيقاتها، القاهرة:عالم الكتب، 1996، ص 117، 119.

2- الإنتاج.

3- إشباع حاجات الأفراد الاقتصادية والنفسية والاجتماعية.

وعندما تتحقق الأهداف الثلاثة تكون النتيجة نجاح الجهد الجماعي والأفراد يعملون معا لهدف مشترك ودافع مشترك، ومن هنا تظهر أهمية العلاقات الإنسانية في نجاح المشروعات.

ويمكن القول أن حركة العلاقات الإنسانية قد ساهمت في إثراء الفكر التنظيمي وذلك بتوسيع مجالات اهتمامه فأصبح ينظر إلى اهتماماته، التنظيم الرسمي والغير الرسمي وكيفية تفاعلهما، اثر الجماعات غير الرسمية والعلاقات التي تنشا بينها داخل وخارج العمل، والمشروعات التنظيمية العليا والدنيا وعلاقات التفاعل بينهما والحوافز المادية والمعنوية وتأثيرهما المتبادل والمشترك على إنتاجية العمل.[34]

نشأة نظرية العلاقات الإنسانية:[35]

ظهرت بفضل أعمال التون مايو الناتجة عن مجموعة من التجارب اشتهرت باجراءها في مصانع وسترن إلكتريك في هاوثورن 1924- 1933، وقد كانت هذه التجارب تهدف إلى دراسة تأثير الظروف المادية للعمل على الإنتاجية، وجرت التجارب كلها على مجموعة من العاملات المتطوعات، وفي نهاية هذه التجارب اتضح أن كل التغيرات الطارئة، توصلت إلى نتائج مماثلة مفادها بان الزيادة في إنتاجية العاملات. لم تكن أسبابها في الظروف الفيزيقية للعمل، ومن ثمة استخلص مايو وزملاؤه بان الزيادة لم تكن نتيجة التغيرات الحادثة، وإنما نتيجة التجربة المقترحة، مفضلا العلاقات بين الأفراد، بتغيير سلوك المشرفين مما يغير بالضرورة العلاقات الاجتماعية وبالتالي سلوكات الأفراد.

---

[34]- صلاح التنواني، إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية، الإسكندرية، دار الجامعات المصرية، 1976، ص497.
[35]- صلاح التنواني، المرجع السابق، ص520.

وكانت هذه النتائج المذهلة تناقض تماما نتائج تايلور تبعد كل الاعتبارات السوسيونفسية، وتعتبر أن العمل لا يتمثل إلا في إبعاده التقنية البحتة.

وجاءت بعد دراسات ونتائج مايو وزملائه، دراسات أخرى في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، دعمت هذه الفكرة وأكدت على أن عامل العلاقات الإنسانية يلعب دورا حاسما في المؤسسة، بزيادة إنتاجية العامل وإنتاج المؤسسة، ويعمل على الاستقرار الاقتصادي والنفسي الاجتماعي عند العامل".

تجارب الهاوثورن:[36]

إن شركة ولسترن إلكتريك احد فروع الشركة الأمريكية للتيلوفونيك والتيليغراف وهي تصنع معظم المعدات التي تحتاجها الشركة الأم وأثناء القيام بالدراسة كانت نسبة كبيرة من قوة العمل، تتكون من الأجانب وأبناء المهاجرين وكانت نقابة العمال وقتها ضعيفة غير مؤثرة.

تتكون تجارب الهاوثورن من خمسة دراسات مستقلة، لكل منها منهجها وكلها تسلم نتيجة مؤداها أن إنتاج العمال يتحدد بدرجة كبيرة بطبيعة العلاقات الاجتماعية مع زملائهم من العمال والمشرفين وهذه التجارب الخمسة هي:

1-تجربة الإضاءة.

2- حجرات اختبار خط التجميع المتناوب.

3- تقسيم المجموعات إلى فرق.

4- برنامج المقابلات.

5- حجرات ملاحظة شبكة الأسلاك.

[36]- عبد الله محمد اسعد وليلى إبراهيم العريان، العلاقات الإنسانية، وزارة التربية، الكويت، 1979- 1980، ص ص 15- 16.

وسوف نذكر ثلاثة تجارب منها:

1-**تجربة الإضاءة:** أجريت هذه التجربة من قبل على يد مسؤولي الشركة قبل وصول فريق جامعة هارفارد، وظفت هذه التجارب بغرض الكشـــف عن العلاقة بين الإضـــاءة والكفاية الإنتاجية لمردودية العمال.

وتم في التجربة الأولى زيادة الإضـــاءة، بدرجات بطيئة في ثلاثة أقســـام تؤدي مهام مختلفة وتبين في قسـمين من هذه الأقسـام أن الكفاية تزيد بتحسـن الإضـاءة في حين لم يظهر أي تأثير في القسم الثالث".

2-**التجربة الثانية:**[37] تم اختيار مجموعة واحدة لتعمل في إضـاءة متغيرة ومن ثمة مقارنتها بمجموعة ضـــابطة تعرضـــت إلى نفس الإضـــاءة ثابتة وكانت النتائج مفاجئة حيث زادت الإنتاجية في المجموعتين معا.

3- **التجربة الثالثة:** وبغرض عرض الضـــوء الطبيعي، تم تعريض مجموعتين إلى إضـــاءة صـــناعية، ومن ثمة تخفيض مســتوى الإضـــاءة بتدرج في حجرة المجموعة التجريبية ويتبين للمرة الثالثة أن إنتاجية المجموعتين تزيد بنفس المعدل تقريبا، ولم ينخفض الإنتاج إلا بعد أن قام الباحثون بتخفيض الإضـاءة في المجموعة التجريبية إلى مسـتوى ضـوء القمر بحيث لم يعد يستطيع العمال رؤية المواد التي يعملون بها إلا بصعوبة.

وقد تبين من هذه التجارب تؤثر تأثيرا ضـــئيلا في الإنتاج والزيادة الملحوظة في الإنتاج لابد أن ترجع إلى عامل آخر لم يعمل حسابه هو العامل الإنساني لان الاهتمام الشخصـي الذي ناله العمال مع البرنامج كان له تأثير في تغيير حالة اللامبالاة والمســـافة الاجتماعية في علاقاتهم الطبيعية مع الإدارة، وفي هذه الحالة دفعهم اهتمام الإدارة إلى العمل الجاد وبالتالي

[37]- عبد الله محمد اسعد، مرجع سابق، ص ص 19-20.

زاد الإنتاج، بغض النظر عن مقدار تحســـن في ظروف العمل المادية التي احدث بها التجارب.

تجربة المقابلات: برنامج تجريبي للمشـــرفين، كشـــف عن نفس المعلومات تحول الروح المعنوية في حجرة الاختبار وكان هذا البرنامج يتألف من مرحلتين:

أ-**مرحلة استطلاعية:** أجريت في احد فروع الشركة من سبتمبر 1927- 1929.

ب-**المرحلة الثانية:** برنامج متصل قام بحوالي 20000 مقابلة مع العاملين في الشركة لمدة عامين 1929- 1931، وقد توقف البرنامج 1931، نظرا للانخفاض المماثل لنشاط الإنتاج مما أدى إلى تعثر التجارب ليعود البرنامج مرة أخرى في 1936".

"ليصـبح من الخصـائص الدائمة للإدارة العمالية في مصـانع الهاوثورن تحت اسـم الإرشـاد العمالي.

في بداية البرنامج اعد القائمون في المقابلة قائمة بالموضـــوعات التي اعتقد وإنها ترتبط بالروح المعنوية مثل التدفئة، التهوية، التخزين، وفرص الترقية...الخ، ونظرا لصـــعوبة إلزام المبحوثين بهذه المواضـــيع لجا الباحثون إلى المقابلة الغير الموجهة وترك للمبحوثين حرية اختيار الموضـــوعات، مما اســـتدعى زيادة وقت المقابلة وطول التقرير وقد تبين أن إتاحة الفرصـة للحديث مع الباحث غير من النتائج خلال سـاعات العمل وإتاحة الفرصـة للكشـف عن المشكلات الشخصية بسرية تامة.

3-**حجرة ملاحظة شـبكة الأسـلاك:** اشـتملت التجربة الأخيرة على دراسـة تفصـيلية لموقف معملي من وجهة نظر علم الاجتماع وكان الهدف من تصـميم هذه التجربة الكشـف عن أثار التفاعل الاجتماعي على ســلوك العمال، ومع تقديم هذه الدراســة بدا في التركيز على تقييد الإنتاج التي تمارسـها جماعة الأصـدقاء المنظمة تنظيم غير رسـمي، وقد أخذت مجموعة من العمال الذكور من القســم الذين يعملون فيه ووضـــعوا تحت الملاحظة في حجرة مســـتقلة

ليستمروا في أداء نفس العمل فكان عملهم هو توصيل أسلاك خطوط لوحة مفاتيح التيليغراف وتتكون هذه المجموعة من 14 رجل، 9 عمال يوصـــلون الأســـلاك و3 لحامين، و2 من المفتشين بالإضافة إلى ملاحظتهم وضبط سلوكهم ضبطا دقيقا، استمرت هذه التجربة من نوفمبر 1931 إلى ماي 1932 وقد ظلت أجور العمال وســـاعات العمل على حالها، وكان نظام حوافز الأجر يضـــع معيار قدرة توصـــيل 7200 توصـــيلة غير أن العمال وقفوا عند 6600 توصيلة في اليوم ومن هنا ظهر بما يعرف بالتنظيم الغير الرسمي".

حركة العلاقات الإنسانيـــة:

كان ظهور حركة العلاقات الإنســـانية في الثلاثينات رد الفعل لحركة الإدارة العلمية لتايلور التي تجاهلت العامل الإنساني بالنسبة للعاملين ونظرت إليهم نظرة مادية بحتة مجردة من أي اعتبار للعوامل الإنســـانية. ووجه كثير من الباحثين والكتاب المهتمين بالنقد لحركة الإدارة العلمية وأولوا اهتماما بأفكار العلماء السلوكيين وكانت أهم شخصية بارزة ومؤثرة في مجال العلاقات الإنسانية هي شخصية إلتون مايو. وبدأ إلتون مايو فيلسوفا اجتماعيا فيما توصل إليه بالنسبة للتحضر الصناعي وذهب بالقول بأن التصنيع والتخصيص قد ترتب عليها تدهور نفسي للفرد وعبر عن قلقه بالنسبة لتجاهل الجانب الإنساني في المجتمعات الصناعية الكبرى في المجتمع التكنولوجي وكان لحركة العلاقات الإنســـانية تأثير كبير على ميدان الإدارة والعاملين فيه وجذب اهتمام المديرين والمســـؤولين إلى أهمية الجانب الإنســـاني في العملية الإدارية وبدأ الاهتمام بالروح المعنوية للعاملين، وهكذا بدأت حركة العلاقات الإنسانية تخضع لكثير من النقد واهتمت المؤسسات الصناعية بالجانب الإنساني للعاملين مما ساهم في زيادة إنتاجهم في العمل بشتى أنواعه.[38]

ولقد بدأ الاهتمام بحركة العلاقات الإنسانية في الإدارة بعد النتائج التي توصل إليها فريق من العلماء يرأسهم إلتون مايو من تجارب هوثورن في شركة الكهرباء الغربية بالولايات المتحدة.

[38] -محمد منير مرسي، الإدارة المدرسية الحديثة، القاهرة:عالم الكتب، 1995، ص24،23

فقد حاول الباحثون في هذه التجارب إيجاد العلاقة بين إنتاجية العمال وكثافة الإضافة ووجد كذلك أن الروح المعنوية والانسجام بين العمال وشعورهم باهتمام المسؤولين بسبب إجراء التجارب عليهم كانت جميعا من أسباب ارتفاع الإنتاجية. وقد جاءت بعدها دراسة العلاقة بين الإنتاجية وعوامل أخرى مثل:

*الراحة التي تعطى للعمال ورفع الأجور فكانت تشير إلى زيادة الإنتاجية.

وقد نتج عن تجارب مايو إحساس بأهمية المبادئ الإنسانية التي ولدت في 1920 لأول مرة. ولذلك فإن العلاقات الإنسانية في الإدارة قد:

*أثبتت أن السلوك الإنساني موضوع متشابك معقد فيزداد التعقيد عندما يعمل الإنسان في مجموعات صغيرة.

*أغنت الباحثين فهمهم للسلوك الإنساني وأكدت أهمية الظروف الاجتماعية والنفسية في زيادة الإنتاج.

*بينت أثر الجو الإشرافي على سلوك مجموعات العمل.

*بينت أن الأفراد العاملين في وحدة إدارية أو إنتاجية يكونون على اتصال دائم ببعضهم بعض.

*وبالرغم من أن حركة العلاقات الإنسانية قد وضعت حدا كبيرا لما كان يعاني منه المرؤوسون من سوء معاملة وتسلط وإهمال لمشاعرهم واعتبارهم كآلة إلا أن حركة العلاقات الإنسانية ذاتها قد واجهت نقدا شديدا واعتبرت من وجهة نظر أخرى وسيلة لاستغلال الموظفين بالإضافة إلى سوء استغلال المرؤوسين لها على حساب الإنتاج.[39]

[39] --يعقوب نشوان، الإدارة والإشراف التربوي بين النظرية والتطبيق، عمان:دار الفرقان، 1986، ص17-19.

وقد توصلت تجارب هوثورن إلى النتائج التالية:[40]

1- ميل الأفراد العاملين في وحدة إنتاجية واحدة إلى تكوين تنظيمات غير رسمية فيما بينهم.

2- تأثر تصرفات الأفراد داخل التنظيم بالإطار الذي ترسمه لهم الجماعة.

3- أن الحوافز المعنوية تقوم بدور حيوي في تحفيز الأفراد للعمل.

4- إن طاقة الفرد للعمل لا تتحدد طبقاً لطاقته الفسيولوجية وإنما أيضاً طبقاً لطاقته الاجتماعية من حيث شعوره بالرضا والتفاهم القائم بينه وبين رؤسائه من ناحية, ودرجة التعاون مع زملائه في العمل من ناحية أخرى.

5- دور القيادة غير الرسمية في التأثير على سلوك الأفراد داخل التنظيم من حيث تكوين الجماعات ونمط العلاقات بينهم.

وباختصار فإن أبحاث وسترن إلكتريك تعد في الواقع بمثابة عودة التفكير السليم إلى علاقات العمل، ويرجع ذلك للأسباب التالية:

1-إن هذه التجارب قد أثرت الفكر الإداري بعدد من الفروض والآراء والأفكار التي أسهمت في دراسة وتفهم المواقف الإنسانية والسلوكية في محيط الأعمال.

2-أن هذه التجارب قد مهدت السبيل لظهور منهج جديد في التفكير, وهو المنهج السلوكي الذي يمكن من خلاله اكتشاف المشكلات الإنسانية المعقدة والتعرف على أساليب علاجها.

3- أن هذه التجارب قد ساعدت في إلقاء الضوء على المتطلبات الأساسية الواجب توافرها لخلق التعاون الفعال بين الإدارة والعمال, فالعمال ليسوا أفراداً منعزلين بعضهم عن بعض

[40]- بدر، مرجع سابق، ص 289.

الآخر ولا يمكن النظر إليهم كوحدات متفرقة، فهم يشـــكلون جماعة واحدة, وبتعاونهم وتضافرهم وحماسهم في عملهم يتحقق الهدف الذي يسعى إليه التنظيم.

ومن هذا المنطلق يتضح أن دراسة إلتون مايو تعتبر أول دراسة تعنى بالسلوك الإنساني في التنظيم، كما تعتبر في الوقت نفســـه أولى المحاولات العلمية الجادة والعملية لتفســـير أثر السلوك الجماعي على محيط العمل، وضرورة مراعاة الإدارة للعنصر البشري ليس فقط من النواحي المادية، وإنما أيضاً من النواحي النفسية والاجتماعية، فقد أسهمت هذه التجارب في نشر الاهتمام بالعلاقات الإنسانية في مجال العمل، مما أدى إلى كثير من أنواع التغيير في الممارسة الإدارية خلال الثلاثينات من هذا القرن ومن الآثار العلمية نذكر ما يلي :

1- ظهرت لأول مرة إدارة مهمة في المشروعات تسمى " إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية" تتولى الاهتمام بحسن استخدام الموارد البشرية المتاحة والعمل على رفاهيتها وحل مشكلات العاملين, بل وصل الأمر إلى حد وجود أقسام للتحليل النفسي داخل هذه الإدارات.

2- بدأت الإدارة العامة والخاصة تعترف بحق العاملين في الحصول على إجازات سنوية وبدأت ساعات العمل الأسبوعية تنخفض تدريجياً حتى وصلت الآن إلى أربعين ساعة أسبوعياً في معظم دول العالم.

3- بدأ الاعتراف بحقوق العمال في الرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية فتقررت وجبات العاملين "خاصة في المصانع والمناجم" وساعة للراحة وتقرر علاج العاملين مجاناً ورعايتهم صحياً والتأمين عليهم.

4- بدأ تدريب الرؤساء والمشرفين على مراعاة أصول العلاقات الإنسانية والمعاملة الحسنة للعاملين معهم حتى ترتفع روحهم المعنوية وتزيد قابليتهم للتعاون.

والنتائج التي آلت إليها هذه النظرية ومنها:[41]

1- أن هذه المدرسة لم تقدم نظرية كاملة ولا شاملة لتفسير ظاهرة التنظيم والسلم التنظيمي بل إنها ركزت اهتمامها على دراسة جانب واحد من جوانب التنظيم المتعددة وهو العنصر البشري، فالتنظيم عبارة عن وحدة اجتماعية مركبة يتفاعل فيها جماعات العمل الاجتماعية، وقد صورت مدرسة العلاقات الإنسانية تلك الجماعات الاجتماعية على أنها متماثلة ومتحدة الهدف والغاية. ولكن الواقع يشير إلى أنه حيث توجد بعض المصالح المشتركة بين جماعات العمل الاجتماعية من الناحية الاقتصادية مثلاً, فإن هناك أيضاً مصادر للاختلاف والتناقض بينها. ومن الجائز أن تتعاون تلك الجماعات في بعض مجالات العمل، إلا أنه من المستبعد تماماً أن تنصهر جميعاً وتصبح أسرة واحدة سعيدة كما يتخيل أنصار حركة العلاقات الإنسانية.

2- أن هذه المدرسة تفترض وجود تناقض واضح بين مصالح مجموعتين من أعضاء التنظيم وهما مجموعة العمال ومجموعة الإداريين، بينما تقتضي تحقيق أهداف التنظيم التكامل بين هاتين المجموعتين.

3- أن تركيز نظريات العلاقات الإنسانية على أن إنشاء جماعات العمل وإتاحة الفرصة لها للتفاعل يجعل جو العمل أكثر ملائمة للعامل, ولكن ذلك بالقطن لن يقلل من جهد العامل في عمله أو يغير من طبيعة العمل الذي يقوم به، فتلك أمور موضوعية لن تتأثر بالجوانب الاجتماعية للعمل. بل إن التجارب أثبتت أن جماعة العمل الأكثر سعادة ليس بالضرورة أكثر إنتاجية.

4- أن حركة العلاقات الإنسانية بتركيزها على جماعات العمل باعتبارها عائلة سعيدة وبأن المصنع أو مكان العمل هو مصدر الرضا الأساسي للعامل إنما تتغافل عن واقع التفاعل

---

[41]- بدر، مرجع سابق، ص296.

الاجتماعي للأفراد والجماعات وما يحتويه من تصـارع وتنافس ومحاولة للسـيطرة والتسـلط, وبالتالي فإنها تعطي تصـويراً خاطئاً للتنظيمات الفعلية. وأكثر من هذا أن الصـراع الإنسـاني في تنظيمات العمل قد يعتبر مصـدراً للتجديد والابتكار والإبداع حيث يحاول كل عضـو أن يتميز على الآخرين، كما أن الصـراع بين الإدارة والنقابات كان عاملاً حاسـماً في سـبيل التطوير الفني والإنتاجي كما كان عاملاً أسـاسـياً في تحسـين أحوال العمال. وبذلك فإن الصـراع الذي تعتبره مدرسـة العلاقات الإنسـانية أمراً غير مقبول قد يمثل في الواقع متغيراً أساسياً من المتغيرات المحددة لكفاءة ونجاح العمل التنظيمي.

5- أن حركة العلاقات الإنسـانية في تركيزها على دراسـة التنظيم غير الرسـمي تغفل أهمية التنظيم الرسمي ولا توضح أثره في تشكيل سلوك أعضاء التنظيم.

6- أن حركة العلاقات الإنسـانية إذ تركز على الحوافز والمكافآت غير المادية إنما تتجاهل أثر الحوافز المادية وهي بذلك تفقد عنصـراً مهماً من عناصـر تفسـير السـلوك الإنسـاني في تنظيمات العمل.

ومما هو جدير بالذكر أن دراسـة إلتون مايو قد فتحت الطريق أمام العلماء والباحثين الاجتماعيين والسـلوكيين والإداريين إلى مزيد من الدراسـات العلمية التجريبية لمعرفة آثار الممارسات الإدارية المتخلفة على العنصر البشري.

ولكن البعض يرى أن مدرسـة العلاقات الإنسـانية جاءت كرد فعل للمدرسـة الكلاسـيكية في الإدارة والتي ركزت فقط على الإنتاجية، وأغفلت العامل الإنسـاني، فهي إذن نتيجة منطقية لسـلبيات نظرية البيروقراطية والإدارة العلمية وهي أيضـاً نمو طبيعي في الفكر الإداري لا يكتمل إلا بـه. فبينما تركز النظرية البيروقراطية ونظريات التقسـيم الإداري على الجانب الهيكلي، وتركز المدرسة العلمية على الجانب الإجرائي، فإن مدرسة العلاقات الإنسانية تركز

على جانب مهم ومكمل للجوانب الأخرى وهو الإنسان، وبذلك تعتبر هذه المدرسة إضافة جديدة وليست بديلاً للمدارس التي سبقتها.

نتائج تجارب الهاوثورن:[42]

1-ميل الأفراد العاملين في وحدة إنتاجية واحدة إلى تكوين تنظيمات غير رسمية فيما بينهم.

2-تأثر تصرفات الأفراد داخل التنظيم بالإطار الذي ترسمه لهم الجماعة.

3- الحوافز المعنوية تقوم بدور حيوي في تحفيز الأفراد إلى العمل.

4- إن طاقة الفرد للعمل لا تتحدد طبقا للطاقة الفسيولوجية وإنما أيضا طبقا للطاقة الاجتماعية من حيث شعوره بالرضا والتفاهم القائم بينه وبين رؤسائه من جهة، ودرجة التعاون مع زملائه في العمل من ناحية أخرى.

5- دور القيادة غير الرسمية في التأثير على سلوك الأفراد داخل التنظيم من حيث تكوين الجماعات ونمط العلاقات بينهم.

وباختصار فان أبحاث ولسترن إلكتريك في الواقع بمثابة عودة التفكير السليم إلى علاقات العمل ويرجع ذلك للأسباب التالية:

1-أن هذه التجارب قد أثرت الفكر الإداري بعدد من الفروض والآراء والأفكار التي ساهمت في دراسة وتفهم المواقف الإنسانية والسلوكية في محيط الأعمال.

2-إن هذه التجارب قد مهدت السبيل لظهور منهج جديد في التفكير، وهو المنهج السلوكي الذي يمكن من خلاله اكتشاف المشكلات الإنسانية المعقدة والتعرف على أساليب علاجها".

الانتقادات التي وجهت لتجارب الهاوثورن:[43]

---

[42]- ناصر دادي عدون، المؤسسة الاقتصادية، دار المحمدية العامة، الجزائر، 1998، ص10.
[43]- ناصر دادي عدون، مرجع سابق، ص ص 13- 14.

1-جاءت دراسة هاوثورن الشهيرة التي أجراها مايو في فترة زمنية محددة تاريخية لم تكن قد بلورت فيها معالم المشكلات الصناعية بعد، لاسيما دراستها لطبقة العمال نظرا لان معظمهم كانوا من الجيل الأول والثاني من المهاجرين الريفيين إلى المدن الصناعية، فجاءت انطباعاتهم غير واقعية عن وضعهم في مؤسساتهم ورأيهم في قياداتهم الذين تشكلوا مسبقا في نوعية الولاء والانتماء لهؤلاء العمال نحو مصانعهم وقدراتهم.

2- لم تعطي اهتمامات أصحاب نظرية العلاقات الإنسانية أي نوع من الأهمية لوجود الصراع بين الأفراد والجماعات داخل مؤسسات الإنتاج والعمل أو لظهور أنماط من الاتصال السلبي والإشراف الإداري غير المتخصص.

3- ركزت على أهمية الإشباع داخل المؤسسات الصناعية وذلك عن طريق خلق نوع من الانتماء نحو العمل والجماعة وظهور التنظيمات الغير الرسمية دون التركيز على أبعاد اقتصادية مثل: انساق المكافأة وزيادة الأجور وتوزيع الدخل والأرباح.

4- التركيز على دراسة التكامل والتوازن بصورة مستمرة ولم يتم التركيز على انساق اللاتكامل واللاتوازن، أي سارت على نفس خط الاتجاه التأثير الإيديولوجي للنظريات الرأسمالية الغربية، وذلك بنظرتها لتحقيق التعاون والانسجام دون دراسة التنافس والصراع عامة".

الدرس الثالث:

ثالثا: ميدلتاون لروبيرت ليند

نبذة تاريخية عن روبرت ليند:[44]

روبرت ليند ولد في 27 سبتمبر 1882 توفي في أول نوفمبر 1970، عالم اجتماع أمريكي هو أستاذ في جامعة بلومبيا في نيويورك وقد اشتهر روبرت ليند وزوجته من خلال مؤلفاته في ميدلتاون تلقى روبرت ليند تعليمه ليصبح كاهنا في الكنيسة الكلونتانية وفي أوائل العشرينيات قام هو وزوجته بمسح على الأنشطة والممارسات الدينية في المجتمع المحلي الأمريكي، وكان المكان الذي اختاره هو مونسي بولاية انديانا وهي مدينة صناعية صغيرة يبلغ عدد سكانها حوالي 40 إلف نسمة، وقد أطلق على هذه المدينة اسم مستعار وهو ميدلتاون.

وكان كتاب ميدلتاون أول كتب علم الاجتماع التي أصبحت من الكتب الأكثر مبيعا حيث حظيت بمناقشات خاصة في أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا ما جعل كتبه مشهورة بين عشية وضحاها فقد حصل ليند بسبب إسهامه في هذا العمل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا وعين أستاذ لعلم الاجتماع عام 1931.

دراسة روبرت ليند وزوجته لميدلتاون:

وقد نجد في دراسة " **الميدلتون** " أنموذجا واضحا لهذا التوجه المنهجي الجديد ، إذ ذهب **(روبرت وهيلين ليند)** Robert and Helen Lynd إلى مدينة " مونسي" Munice بولاية " انديانا " ليقدمان بعد أن مكثا في مونسي ثمانية عشر شهرا ، تحليلا مفصلا للحياة الاجتماعية ، ولشريحة صغيرة من المجتمع الأمريكي ، وكان الهدف من ذلك وضع تصور

[44]- محمد الجوهري، مرجع سابق، ص133.

ســوســيولوجي عن المجتمع المحلي ، مركزين على ســت مظاهر للحياة الاجتماعية (**نوع العمل ، حياة الأسرة ، تربية الطفل ، الدين ، نشاط المجتمع المحلي ، نشاطات وقت الفراغ**) . وبعد مضــي ما يقرب من عشــرات ســنوات من دراســة روبرت وليند ، عادا إلى مدينة مونسى ، ليوضحا كيف تغيرت المدينة الصغيرة ، لاسيما بعد أزمة الثلاثينيات ، فاصدرا مرة أخرى " الميدلتون " بصـيغته الانتقالية سـنة 1937 ، وقد أوضـحا لنا أم هنالك متغيرا جديدا حظي باهتمام تلك الفترة ، إذ تركزت الدراسة أعلاه على توزيع القوة ، والتأثير داخل المجتمع المحلي . كما أوضح الباحثان، كيف أن السلطة الاجتماعية والسياسية تركزت في أيدي أسرة معينة كانت تســيطر على الحياة الاقتصــادية وعلى العمالة المحلية في المدينة، ليكون هذا الاهتمام لاحقا دافعا نحو توجه دراسات المجتمع المحلي للمحاور السياسية.

أن دراسـة الميدلتاون، كانت حافزا لدراسـات مثيلة في هذا الإطار ، إذ نلحظ نفس الإجراءات المنهجية التي اسـتخدمت في الدراسـة أعلاه . فقد طبقت في دراسـة مدينة " اليانكي سـيتي " Yankee City لمؤلفها لويد وارنر Loyd Warner مع فريق من الباحثين في مدينة بلغ عدد سكانها (19,000) نسـمة ، لكن هذه الدراسـة لم تحظى بالقبول الأكاديمي الكبير؛ لان لويد وارنر اســتخدم متغير (الطبقة) ليتخذه معيارا أحاديا في وصــف كل مظاهر الحياة الاجتماعية ، وهو عكس ما قام به روبرت ليند من استخدامه لعدة متغيرات في وصـف حياة المدينة ، وعموما فان وارنر ركز على تناقضــات بســيطة وســطحية ، ما بين الطبقات الاجتماعية المختلفة في المدينة[45] .

ومن الدراســات الشــبيهة في هذا الإطار ، تلك الدراســة التي قدمها ميشــيل يونج Young وبيتر ويلموث Willmoth الأسـرة والقرابة في شـرق لندن سـنة 1957 ، وقد أشـار الباحثان في بحثهما " الطبقة العاملة التقليدية في بنثال جرين " عدم ملائمة المبررات التقليدية والمتداولة حول التحول والانتقال إلى نمط الأسرة النووية في المجتمعات الصناعية . فمع هذا

[45] - محمد علي محمد، علم اجتماع التنظيم، ج/1، (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1979)، ص155-156

التطور الصـــناعي بقيت العائلة الممتدة ، ولكن في شـــكل معدل ، تكون الســـلطة فيها للام وعلاقتها بابنتها مما أدى إلى ظهور ما يسمى بـــ (**مجتمع محلي امومي**) ارتكز على دور الأم في مســـاعدة ابنتها ، لاســـيما في مجال تربية الطفل[46] . هذا ويوضـــح (Thorstein Verblen) في نظريته عن الطبقة المترفة ، إن نشـــوء هذه الطبقة ازداد مع تطور المجتمع الصـــناعي ، إذ يرى أن في المدينة الصـــناعية المتطورة يصـــبح اســـتعراض ســـلطان المال ، وبالتالي بلوغ حســـن الســـمعة والمحافظة عليها ، هي الفراغ والاســـتهلاك الواضـــحين واللذين يميزان حياة المدينة . وعلى هذا الأســـاس، يرى أن الفراغ والاســـتهلاك من الوســـائل المحببة إلى الناس من أعلى درجات الســـــلم الاجتماعي إلى أدنى درجة. إن هذا الخضـــــوع للفراغ والاستهلاك المظهري لطبقات المجتمع ، إنما فرضته حياة المدينة على الأفراد[47].

أما إذا انتقلنا إلى أمريكا ، فإننا ســـنجد باحثيها اهتموا بنفس الموضـــوعات الســـابقة تقريبا، إذ نرى هربرت جانز Gans أجرى دراســـــتين حول الحياة الاجتماعية في إحدى الضـــــواحي، كضـــاحية " الليفتون " Levittion ليوضـــح لنا أن حياة الأســـرة تشـــكل محور الارتكاز في الضـــاحيتين ، ويعزو ســـبب توســـع الضـــاحية إلى دور الطبقة الوســـطى في ذلك ، خاصـــة في تربية أطفالها . هذا وقد أوضـــح جانز وجود العلاقات القرابية الوثيقة عند القرويين لاســـيما الجماعات الايطالية ، وهي تعد أهم الموجهات للحياة الاجتماعية في الضـــاحية ، إلى جانب انه استطاع أن يقدم لنا طريقة جديدة للحضرية خلافا لـــــ (ويرث) موضحا أن هناك علاقة وثيقة بين الســـياقات الفيزيقية خاصـــة الســـياقات الســـكنية والجوار ، وطرق الحياة الســـائدة فطريقة جانز ، تعبر عن الملائمة مع الإقامة والعيش في الضواحي.

وسيرا على خطى دراسات المجتمع المحلي، جاءت اهتمامات أكاديمية جديدة، لتسلط الضوء على الحكومة المحلية، وكان الدافع إلى ذلك هو حركة إصـــلاح المجالس البلدية، إلى جانب

---

[46] . See:M.Young&p.Willmott.

[47] . ثورشـــتاين فيبلن ، الطبقة المترفة ، ترجمة : محمود محمد موســـى ، مراجعة : د. ابراهيم ســـعد الدين ، (الدار المصـــرية للتأليف والترجمة ، بدون سنة) ، ص58-59

التطور الحاصل في مجال العلوم السياسية والسلوكية. وفي هذا السياق ، ظهرت دراسة فلويد هانتر Hunter سنة 1952 عن أشكال التأثير السياسي والاجتماعي في مدينة أتلانتا بولاية جورجيا ، إذ كان عدد سكانها وقت الدراسة (500,000) نسمة ، وكان هدفه هو التركيز على العمليات السياسية المحلية ، خلافا للدراسات السابقة التي ركزت على الأسرة والقرابة. وأوضح هانتر كيف أن القوة كانت في أيدي الصفوة الاجتماعية والاقتصادية بالمدينة، وليس بيد النخب المحلية. وبالتالي فقد أفرزت لنا هذه الدراسة حقلا جديدا من الاهتمام تمثل في ضرورة دراسة السياسات الحضرية[48].

وفي الوقت الذي أشار إليه هانتر إلى موضوعة السيادة السياسية، برز على النقيض من ذلك روبرت دال Dahl ليشيرالى تشتت وتنوع بناءات القوة في المجتمع المحلي، وهذا ما نفهمه على الأقل من عنوان كتابه " من الذي يحكم " Who Governs وكان ذلك في سنة 1961 ، فقد وجد في مدينة نيو هافن أن الصفوة الاجتماعية والاقتصادية لم تكن مهتمة بسياسات المجتمع المحلي ، بمعنى أن هناك تعددية في امتلاك القوة[49].

إذن تنظيم المدينة لا يصح أن ينظر إليه فقط بأنه انعكاس للطبيعة البشرية ـ كما أشار بارك ـــ وإنما يجب أن نربط هذا التنظيم بوصفه يعكس لنا أنماطا متنوعة من المصالح السياسية وبناءات السلطة ، وبالتالي فالبيئة الحضرية نتاج العمليات الاجتماعية والسياسية ، ولنقل أيضا العمليات الايكولوجية.

أهم دراسات ميدلتاون:[50]

[48] . F.Hunter,pp.1-5
[49] . R.Dahl,pp.1-11.

[50]- محمد الجوهري، مرجع سابق، ص ص 133- 134.

سرعان ما تجاوزت دراسة ميدلتاون هدفها الأصلي والمتمثل في دراسته الأنشطة والممارسات الدينية داخل الكنيسة اتسعت لتغطي جميع الجوانب الأساسية للحياة الاجتماعية المنظمة تحت ستة عناوين وهي:

1-كسب القوت.

2- تأثيث المنزل.

3- تنشئة الصغار.

4- استخدام وقت الفراغ.

5- المشاركة في الممارسات الدينية.

6- المشاركة في أنشطة المجتمع المحلي.

وتنقسم كل من هذه الأقسام إلى أقسام أخرى فعلى سبيل المثال نجد أن مناقشته أنشطة المجتمع المحلي في ميدلتاون، شملت وسائل الإدارة الحكومية والمحافظة على الصحة ورعاية المعوقين والحصول على المعلومات والعوامل المفضية إلى تضامن الجماعة.

كما قام ليند وزوجته بفتح مكتب محلي لجمع البيانات لمدة استغرقت 18 شهرا وخلال تلك الفترة شارك ليند وزوجته قدر الإمكان في جميع جوانب المجتمع المحلي، وعمد التقرير النهائي للبحث على مزيج من البيانات الرسمية والانطباعات الغير الرسمية وقامت الدراسة على مقارنة دقيقة بين ميدلتاون المعاصرة 1924- 1925 وميدلتاون من جيل مضى 1890.

إضافة إلى الدراسة السابقة اكتشف كل من ليند وزوجته ظواهر سلبية للحياة في ميدلتاون الأولى تغاضيا عنها أو ورها بدرجة اقل من الواقع ففي مناقشة الدعارة أو بحث الدراسة الأولى انحصارها ووجود بيتين أو ثلاثة يمارسونها في الخفاء وبعد 10 سنوات اكتشفت

ميدلتاون وزوجته إن ميدلتاون في 1925 كانت تمثل مركز للدعارة بإقليم كبير وأنهما فشـــل في ملاحظة وجود منطقة أو حي للبغاء بجانب حي الأعمال كما أصـــبح ليند وزوجته على دراية بان نسبة كبيرة من السكان كانوا يعيشون في مساكن مقترنة، لا توجد بها مياه نقية أو تدفئة كافية وان إدمان المســكرات كان منتشــرا في 1925، كانت تمثل مركز للدعارة بإقليم كبير وأنهما فشــل في ملاحظة وجود منطقة أو حي لبغاء بجانب حي الأعمال، كما أصــبح ليند وزوجته على دراية بان نسبة كبيرة من السكان كانوا يعيشون في مساكن مقترنة لا توجد بها مياه نقية أو تدفئة كافية وان إدمان المسكرات كان منتشرا في 1925، وان التعصب ضد الزنوج كان يمثل مرض مستعصي وان الصحافة المحلية كانت تتعرض لمناورات، وان الماء كان ملوث بدرجة خطيرة.

كما أعاد ليند وزوجته النظر حول البناء الطبقي ليأخذ بعين الاعتبار دور الأسـر ذات النفوذ التي كانت تمتلك صناعة محلية، والتي كانت تمارس نوعا من السيطرة على المجتمع المحلي من خلال علاقتهما الإســـتراتيجية مع البنوك والمكاتب القانونية ومجلس التعليم والجمعيات الخيرية والكنائس والصحافة والأحزاب السياسية وقد عزز الكساد هذه السيطرة".

أهم الأدوات التي استخدمها كل من ليند وزوجته في جمع المعلومات:[51]

-استخدم الملاحظة بالمشاركة.

- القيم بفحص البيانات الوثائقية.

- جمع الإحصاءات.

- إجراء المقابلات.

- الاستعانة بالاستبيانات.

[51]- تيودور كابلوف، البحث السوسيولوجي، دار الفكر الجديد، بيروت، 1979، ص31.

ومن بين الوثائق المكتوبة نجد:

-سجلات المدينة والإقليم.

- ملفات المحاكم.

- سجلات المدارس.

- تقارير الولاية وكتبها السنوية.

- محاضر الاجتماعات.

- الأحداث المحلية.

- الخرائط.

وغيرها من الوثائق.

أهم نتائج الدراسة:[52]

من النتائج الأساسية للدراسة الأولى للانقسام الحاد للمجتمع المحلي إلى طبقة رجال الأعمال التي تحصـل على معظم دخلها من العمل مع الناس وطبقة العمال التي تحصـل على معظم دخلها من العمل على الأشياء، وتختلف هاتان الطبقتان، اختلافا حادا بدرجة تفوق ما يدرسه أعضاؤها، ويتضح هذا الاختلاف في فرص الحياة، ونظام المعيشة اليومي "الروتين اليومي" والعلاقات الأسرية.

كما تأثر هاتين الطبقتين بالتغير الاجتماعي بدرجة غير متكافئة، كما كان الصـــغار أكثر اســتجابة لهذا التغير الاجتماعي من والديهم، وكانت النســاء أكثر اســتجابة له من الرجال خاصة في طبقة رجال الأعمال.

[52]- تيودور كابلوف، المرجع السابق، ص ص 32- 34.

كان هناك نوع من التدرج فيما يتعلق بسرعة التغير الاجتماعي في النظم الاجتماعية الستة، إذ كان التغير أكثر سرعة في النشاط الاقتصادي يليه وقت الفراغ، والتعليم وأنشطة المجتمع المحلي، والأنماط الأسرية والدين النظامي على هذا الترتيب.

لقد كان تحقيق هذا التوازن عام 1925 أسهل إلى حد ما على الرجال في طبقة رجال الأعمال مقارنة بالعمال، على الرغم من اهتزاز ثقتهم نتيجة الرغبة في التغير من جانب زوجاتهم والتمرد من جانب أطفالهم في طور المراهقة.

وفي عام 1935 كانت ميدلتاون قد بدأت تصحح وضعها الناتج عن انهيار الصناعة والبطالة وتعطل التقدم الاقتصادي للمجتمع المحلي تعطلا كاملا، وأصبح حوالي ربع الأسر يعيش على المساعدات العامة، وانخفضت أعداد الزيجات والولادات وانتشار الحركة النقابية بين العمال، والصراعات الكامنة في القيم داخل مجتمع الميدلتاون.

والاهم من ذلك إن ليند وزوجته أعاد النظر في وجهة نظرهما السابقة حول البناء الطبقي ليأخذ في الاعتبار دور الأسر ذات النفوذ التي كانت تمتلك الصناعة المحلية الرئيسية، والتي كانت تمارس نوعا من السيطرة على المجتمع المحلي برمته من خلال علاقتهما الإستراتيجية مع البنوك الرئيسية، والكنائس والصحافة والجمعيات الخيرية.

أدرك ليند وزوجته وجود طبقة عليا ناشئة تتكون من رجال الصناعة الأثرياء، وأصحاب البنوك والمديرين المحليين للشركات الوطنية، ويقسمان طبقة رجال الأعمال إلى طبقة وسطى عليا مؤلفة من أصحاب المصانع والتجار وأصحاب المهن الفنية المتخصصة، والمديرين التنفيذيين.

وطبقة وسطى دنيا تتألف من صغار باعة التجزئة والعاملين بالخدمات.

كما يقسمان الطبقة العاملة إلى الارستقراطية العمالية، المكونة من رؤساء العمال والحرفيين والعمال المهرة، والطبقة الدنيا المكونة من العمال غير المهرة والعمال الذين يعملون بصفة

عرضـــــيـة أو مؤقتـة والكثير من هؤلاء من البيض الفقراء القـادمين من المنـاطق الجبليـة المجاورة.

الدرس الرابع:

رابعا: يانكي سيتي "لويد وارنر William Lloyd Warner"

مفهوم مصطلح يانكي:[53]

يانكي yankee أو yank في بريطانيا مصطلح له عدة استعمالات، يستعمل في بريطانيا وبعض دول العالم للإشارة إلى سكان الولايات المتحدة الأمريكية، بينما يستعمل في أمريكا للإشارة إلى سكان نيو انجلاند new england خصوصا ذوي الأصول الانجليزية، ويطلق على سكان الولايات الشمالية عموما ب "يانكي".

أصل كلمة يانكي:[54]

اليانكي اسم يطلق على الشخص القادم من الولايات المتحدة، وتعني كلمة يانكي في جنوب الولايات المتحدة، الشمالي أو آخر شخص قادم من شمال خط ماسون وديكسون.

ويستخدم معظم سكان الولايات المتحدة كلمة يانكي بمعنى new england وليس هناك من هو على يقين بشان أصل كلمة يانكي، وتنص بعض المعاجم على أن الكلمة الانجليزية يانكي، جاءت من الكلمة الاسكتلندية يانكي، واليانكي هي المرأة المجتهدة والنشيطة.

وتشير معاجم لغوية أخرى إلى أن اليانكي هو النطق الهندي لكلمة انجليزي، أو نطق الفرنسية لكلمة "أنجليه".

وقد أطلق الفلمنكيون الأوائل في بعض الأحيان على سكان هولندا اليانكيز، ويعتبر هذا اللفظ اختصارا للأسماء الهولندية الشائعة جان وكورنيليس، ويعتقد آخرون أن سكان الفلاندر أطلقوا نفس الاسم على الهولنديين، الذين يعيشون في شمال أمريكا".

---

[53] - john p. marquand, poit of no retun, boston, 1949, p144.
[54] - john p. marquand, poit of no retun, boston, 1949, p144.

نبذة تاريخية عن ويليام وارنر:[55]

كان عالم انثر وبولوجي أمريكي وعالم اجتماع شـــهير بدراســـة الطبقة الاجتماعية والبنية الاجتماعية للثقافة الأمريكية الحديثة، اســـمه الحقيقي "ويليام لويد وارنر" ولد في 26 أكتوبر 1898 في كاليفورنيا وتوفي في 23 ماي 1970 في شـيكاغو، قام بتطبيق نذير للأســاليب الانثروبولوجية للمشـــاكل الاجتماعية المعاصـــرة، مثل العلاقات العرقية والبنية الطبقية في البيئة الحضرية.

ومن إسـهاماته البارزة تعريف ثلاث فئات اجتماعية: العليا والوسـطى، واقل من ذلك، مع كل مستوى مقسمة إلى مزيد من العلوي والسفلي، قام ببحوث واسعة النطاق على المجتمعات في الولايات المتحدة، ولاسيما دراسـة طويلة الأجل لمدينة نيو انجلاند الصـغيرة ونشـر نتائجه في سلسلة يانكي، وشارك أيضا في دراسات هاوثورن الشهيرة من مايو، والتي كشفت عن أهمية التأثيرات الاجتماعية والنفسية في تحفيز العاملين.

كانت وجهة نظر وارنر للمجتمع البشـــري لا يتطابق مع المؤســـســـات الأكاديمية من وقته، والكثير من عمله لم يكن اسـتقبالا حسـنا في ذلك الوقت، ومع ذلك رائدة بحثه تطبيقا للبحوث العلمية في إطار الأعمال التجارية في المناطق الحضـــرية، وشـــدد على أهمية العوامل الاجتماعية والنفســـية، بدلا من الدوافع المالية الخارجية، في التعامل مع قضـــايا الطبقة الاجتماعية والحراك الاجتماعي.

أعماله:[56]

[55] - ibid, p 145-146.
[56] - ibid, p147.

كانت دراســـة مدينة يانكي أهم أعماله مما لا شـــك فيه الفحص الأكثر طموحا ومســـتداما للمجتمع الأمريكي، وارنر وفريقه المتكون من 30 باحثا اختار مدينة نيو انجلاند الصـــغيرة من new bury port نيو بري بورت المدينة الصغيرة الساحلية.

سلسلة دراسات يانكي سيتي:[57]

كانت دراسة يانكي سيتي نتاجا مباشرا لتجارب هوثورن، التي كان لويد وارنر قد شارك فيها لفترة قصيرة. ووارنر عالم "انثروبولوجيا" حول اهتمامه من المجتمعات البدائية إلى المجتمعات الحديثة.

كان قد خطط الباحثون في ويسترن اليكتريك لدراسة علاقة مصانع هوثورن بالمجتمع المحلي المحيط بها. ولقد بين البحث الدقيق وجود بعض المعوقات أمام دراســـة مدينة كبيرة كمدينة شيكاغو، وبدا البحث عن مجتمع محلي صناعي صغير يمكن فيه دراسة مشكلات العمال في إطار الســـياق الاجتماعي الكلي الذي يعيشـــون فيه، وقد رغب وارن ران يدرس مجتمعا محليا اقل تفككا من الأحياء الصـــناعية بمدينة شـــيكاغو، أي مجتمع تتميز فيه الأنماط الاجتماعية بالاســـتقرار النســـبي ومقاومة التغير، وهذا ما جعل اختياره ينحصـــر على نيو انجلانـد. وقـد وقع الاختيـار في النهـايـة على "نيو بري بورت" new bury port في "ماساشوسيتس". وهي مدينة ساحلية صغيرة لها تاريخ طويل ومتواصل. وكانت تضم حوالي 17 ألف نسمة وقت الدراسة.

نتائج الدراسة:[58]

لقد بدا العمل الميداني عام 1931 وانتهى عام 1935، وخرجت نتائج المشـروع في خمسـة مجلدات ضخمة ظهرت في الفترة ما بين 1941 و1959 وفقا لخطة البحث الأصلية.

[57] **-w. lloyd warner and paul s, university press, 1941, p106.**
[58] **- ibid, p108.**

وتغطى هذه المجلدات النمط العام للحياة الاجتماعية في يانكي سـيتي، وتحليلا دقيقا لنسـق المكانـة، وأوضـــاع ثماني جماعات عرقية في المجتمع المحلي (الايرلنديون والكنديون الفرنســـيون واليهود والايطاليون واليونانيون والبولنديون والروس)، والتطور المفاجئ الهام لصناعة الأحذية المحلية، والرموز السياسية والتاريخية والدينية في يانكي سيتي، وقد ساعد وارنر في إعداد هذه المجلات مجموعة من المشـاركين والمسـاعدين الأكفاء، وواصـل كثير منهم إجراء بحوث هامة خاصة بهم فيما بعد.

أوجه التشابه والاختلاف بين يانكي سيتي وميدلتاون:[59]

ويتشابه مشروع يانكي سيتي مع المشروع الأول في ميدلتاون مع نواحي عديدة، إذ نجد للمرة الثانية مجموعة متحمسة من شباب الباحثين تنتقل إلى المجتمع المحلي، وتحيط سكانه علما بأهدافهم العامة، وتســـعى إلى جمع معلومات غزيرة باســـتخدام طرق عديدة: الملاحظة بالمشـــاركة، ورســـم الخرائط، والعد الإحصـــائي، والمقابلات، والاســـتبيانات، وتاريخ الحالة، والوثائق العامـة، والصـــحف، واليوميات، والمذكرات. وكما هو الحال في ميدلتاون كان الاكتشـــاف الهام المبكر. هو وجود نســـق واضـــح من الطبقات الاجتماعية يؤثر في حياة السكان من جميع الجوانب. وكما هو الحال أيضا في ميدلتاون اتضح أن وجود الباحثين كان له تأثير ضخم على الوعي الاجتماعي للسكان.

بيد أن الاختلافات بين الدراستين تعادل في أهميتها أوجه التشابه بينهما، فقد كان التركيز في ميدلتاون منصـــبا على التغيرات الاجتماعية التي حدثت بين 1890 و1925، أما في يانكي سـيتي فقد تمت دراسـة التغير بصـفة منتظمة عبر فترة زمنية أطول، ويمكن أن تعد ميدلتاون عينة من المجتمع الأمريكي أو على الأقل عينة من وســـط غرب أمريكا، أما يانكي ســـيتي

[59] - **ibid, p109.**

فهي تمثل شـريحة اقل نمطية من الحياة الأمريكية، وقد سـاد مشـروع يانكي سـيتي اهتمام بأماكن معينة وأشخاص بعينهم.

"وتمثل أهم الاختلافات المنهجية بين المشـــروعين في معالجة الجماعات في ميدلتاون على أنها تجمعات aggregates في حين تم ترتيب البيانات التي جمعت في يانكي سيتي حسب أسماء الأفراد، ويتكون الجزء الرئيسي من التحليل من تعقب روابط الأفراد وعلاقاتهم باستخدام نظام الملفات "ملف لكل فرد" الذي يجمع المعلومات بشـكل فردي عن كل سـاكن تقريبا من سكان المدينة".[60]

النظام الطبقي في يانكي سيتي:[61]

ويتكون النظام الطبقي من:

طبقتين أو أكثر من الناس الذين يعتقد أنهم في أوضـــاع عليا ودنيا، وفقا لترتيب أعضـــاء المجتمع المحلي، ويفضـــل الزواج داخل نفس الطبقة، من أن قيم المجتمع تبيح الزواج بين أفراد ينتمون إلى طبقات مختلفة، كما أن النســـق يســـاعد الأطفال أن يظلوا في نفس مكانة والـديهم. ويقوم المجتمع الطبقي بتوزيع الحقوق والامتيـازات، والواجبـات والالتزامـات بـدرجـة غير متكافئة بين الرتب الدنيا والعليا. ويتميز نســـق الطبقات المفتوحة على عكس نســـق الطبقات المغلقة، بقيمة الخاصـة بالصـعود والهبوط على السلم الاجتماعي، وهذا هو التسلق الاجتماعي باللغة الدارجة أو الحراك الاجتماعي باللغة المتخصـصـة، وقد وجدنا أن النسـق الاجتماعي في يانكي سيتي يسوده نظام طبقي.

[60] - ibid, p110.
[61] -ibid, p112.

ويتألف النظام الطبقي من ست طبقات أو من ثلاث طبقات رئيسية كل منها ينقسم بدوره إلى قسمين، وباللغة الدارجة توجد أسماء لهذه الطبقات تستند إلى إحياء المدينة (مثل سكان شارع هيل، وسكان شارع سايد، وسكان ريفر بروكر).

وتدل هذه التسميات كتعبيرات مهدبة عن التصنيفات الطبقية، والطبقات الست –بلغة وارنر– هي: العليا– العليا، العليا– الدنيا، الوسطى– العليا، الوسطى– الدنيا، الدنيا– العليا، والدنيا– الدنيا.

"وتتألف الطبقة العليا–العليا من العائلات العريقة التي حافظ إسلافها على وضع قيادي في المدينة على مدى ثلاثة أجيال على الأقل، ويلي ذلك العائلات الجديدة "العليا– الدنيا" التي يتشابه أسلوب معيشتها مع أسلوب معيشة العائلات العريقة، ولكنه أسلوب مكتسب حديثا وتتكون الطبقة "الوسطى–العليا" من رجال الأعمال وأصحاب المهن الفنية المتخصصة الذين يتمتعون بقدر من الاستقلالية.

وتتألف الطبقة الوسطى–الدنيا من صغار التجار والعمال أصحاب الياقات البيضاء. ويشكل عمال المصانع السواد الأعظم من الطبقة الدنيا– العليا. أما الطبقة الدنيا– الدنيا فتتكون من ساكني ريفر بروكر الذين يعملون بصفة غير منتظمة، يحصلون على قوت غير مضمون من العمل العرضي، وأعمال الحفر، وصيد البحر، والمهن غير النظامية.

ويلاحظ أن اليانكيين (هم الأشخاص المنحدرين من المستوطنين الانجليز الأول في نيو انجلاند) هم الجماعة السائدة، ويشكل اليانكيون من أصل محلي حوالي نصف مجموع السكان، وهم ممثلون في جميع الطبقات الست خاصة في الطبقتين العليا والدنيا".[62]

"[63]وينتمي حوالي ربع السكان إلى جماعات عرقية عديدة بدأت تستوطن يانكي سيتي في الأربعينيات من القرن الماضي، وهم ممثلون في جميع الطبقات باستثناء الطبقة العليا، ويبدو

[62] - **ibid, p113.**
[63] - **ibid, p113.**

أن جميع الجماعات العرقية ارتفعت مكانتها باطراد وقت إجراء الدراســـة، مع تزايد نســـبة السكان الوطنيين وانتهاء عزلتهم الثقافية عن أغلبية السكان.

ومع أن وارنر أشـــار أحيانا إلى "تنظيم الحياة" في يانكي ســـيتي، فان النســـق الطبقي ليس تنظيما بالمعنى المألوف عند عالم الاجتماع، أي نسـق اجتماعي له أهداف جمعية واضـحة، وحتى الوقت الذي وصـــل فيه فريق البحث لم يوجد فرد واحد، في هذه المدينة، كانت لديه معرفة وافية بالنســق الطبقي، مع أن كل فرد لديه تصــور عن بعض ملامحه، وهذا النســق الطبقي نمط تلقائي نتج تدريجيا عن ظروف تاريخية، وأصـبح قادرا على الاسـتمرار لان نيو برى بورت تتميز بحجم ثابت نسبيا من السكان، ولم تتعرض لأية ضغوط حادة من الخارج.

ومع أن النسـق الطبقي في يانكي سـيتي يرتكز في النهاية على ملكية رأس المال والوصـول إلى الأوضاع من خلال فرص الكسب المختلفة، فانه يصعب تفسير هذا النسق تفسيرا كاملا من خلال العوامل الاقتصـــادية وحدها، فالناس في كل طبقة أكثر ثراء في المتوســـط عن الناس في الطبقة الأدنى منها، بيد أن هناك فجوة زمنية، وأحيانا ما تكون فترة زمنية طويلة للغاية، بين أي تغير في الوضـع الاقتصـادي للأسـرة والتغير المقابل في مكانتها، لدرجة أن نفرا من أعضـــاء الطبقة العليا يعيشـــون في فقر تقريبا، في حين يحوز بعض أفراد الطبقة الوسـطى الدنيا دخولا مرتفعة، ويبدو أن المحك الرئيسـي للنسـق الطبقي لا يتمثل في مقارنة الدخول بل يتمثل في مجموعة معقدة ودقيقة ومتشـعبة من القواعد يتم بواسـطتها اختيار أو رفض الأفراد لأنماط معينة من العلاقات، فالعضـوية التي تبدو هامة ومؤثرة في يانكي سيتي هي عضوية الأسرة والزمرة والرابطة، والجماعة الاقتصادية، ولكل جماعة من هذه الجماعات نمطها الطبقي الخاص بها، فأعضاء نفس الأسرة عادة ما ينتمون إلى نفس الطبقة، وأعضاء الزمرة ينتمون إلى طبقة أو طبقتين متقاربتين وأعضـــاء الرابطة ينتمون إلى تشـــكيلة من الطبقات تبعا لطبيعتها، أما أعضـــاء الجماعة الاقتصـــادية فيتفاوتون تفاوتا حادا من الناحية الطبقية".

"ويدعم النسق الطبقي نفسه بفعالية واضحة، ويعود ذلك إلى أن الأفراد المستاءين يهاجرون إلى مكان آخر، أما الأفراد الذين يظلون موجودين يقبلون قيم يانكي سيتي"[64].

"ويتوقف أي نوع من أنواع الحراك الصاعد داخل هذا المجتمع على رغبة أشخاص من الطبقة الأعلى في انضمام الشخص الطامح إلى مكانة أعلى، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تكون كل طبقة كبيرة بدرجة تمنع أي فرد أو زمرة أن تحتكر الوصول إليها، وأي مرشح للعضوية في الطبقة حر في أن يبحث عن مدخل ثاني إذا صعب عليه الدخول من المدخل الأول، وهكذا تمضي أرامل الطبقة العليا في يانكي سيتي حياتهم شبه معقدة من الخدع الخطيرة، ويمكن تفسير كل تجمع اجتماعي سواء من جانب الباحثين أو من خلال الأشخاص العاديين، بأنه عبارة عن جولة من لعبة مستمرة من اجل إحراز نقاط المكانة، وتتم ممارسة اللعبة بقوة في قمة السلم حيث تكون المكافأة أعظم في حين تتم ممارستها بأسلوب هادئ بين أفراد الطبقة الدنيا"[65].

دراسة وارنر لمشروع يانكي سيتي:[66]

"رغم وارن ران يدرس مجتمعا محليا اقل تفككا من الأحياء الصناعية بمدينة شيكاغو، أي مجتمع تتميز فيه الأنماط الاجتماعية بالاستقرار النسبي ومقاومة التغير، وهذا ما جعل اختياره ينحصر في نيو انجلند، وقد وقع الاختيار في النهاية على "نيو بري بورث" new bury port، وهي مدينة ساحلية صغيرة لما تاريخ طويل ومتواصل، وكانت تضم حوالي 17 ألف نسمة وقت إجراء الدراسة.

وقد بدأ العمل الميداني عام 1931 واكتمل عام 1935، وخرجت نتائج المشروع في خمسة مجلدات ضخمة، ظهرت في الفترة بين 1941 و1959 وفقا لحظة البحث الأصلية، وتغطى هذه المجلدات النمط العام للحياة الاجتماعية في "يانكي سيتي"، وتحليلا دقيقا لنسق المكانة،

---

[64] - ibid, p115.
[65] - ibid, p116.
[66]- محمد الجوهري، مرجع سابق، ص150.

وأوضاع ثماني جماعات عرقية في المجتمع المحلي (الايرلنديون، الروس)، والتطور المفاجئ الهام لصناعة الأحذية المحلية، والرموز السياسية والتاريخية والدينية في "يانكي سيتي" وقد ساعد وارنر في إعداد هذه المجلدات مجموعة من المشاركين والمساعدين الأكفاء، وواصل كثير منهم إجراء بحوث هامة خاصة بهم فيما بعد.

ويتشابه مشروع يانكي سيتي مع المشروع الأول في ميدلتاون من نواح عديدة، إذ نجد للمرة الثانية مجموعة متحمسة من شباب الباحثين تنتقل إلى المجتمع المحلي وتحيط سكانه علما بأهدافهم العامة، وتسعى إلى جمع معلومات غزيرة باستخدام طرق عديدة الملاحظة بالمشاركة، ورسم الخرائط، والعد الإحصائي، والمقابلات والاستبيانات، وتاريخ الحالة، والوثائق العامة والصحف واليوميات، كما هو الحال أيضا في ميدلتاون منصبا على اتضاح أن وجود الباحثين كان له تأثير ضخم على الوعي للسكان موضوع للدراسة".

النظام الطبقي في يانكي سيتي:[67]

يتكون النظام الطبقي في رأي كيرنر من طبقتين أو أكثر من الناس الذين يعتقد إنهم في أوضاع عليا ودنيا وفقا لترتيب أعضاء المجتمع المحلي، ويفضل الزواج داخل نفس الطبقة، مع أن قيم المجتمع تتيح الزواج بين أفراد ينتمون إلى طبقات مختلفة، كما أن النسق الطبقي يساعد الأطفال أن يظلموا في نفس مكانة والديهم، ويقوم المجتمع الطبقي بتوزيع الحقوق والامتيازات والواجبات والالتزامات بدرجة غير متكافئة بين الرتب الدنيا والعليا، ويتميز نسق الطبقات المفتوحة على عكس نسق الطبقات المعلقة، بالقيمة الخاصة بالصعود والمنوط على السلم الاجتماعي باللغة المتخصصة، وقد وجدنا أن النسق الاجتماعي في يانكي سيتي يسوده نظام طبقي.

[67]- المرجع السابق، ص ص 151، 152.

ويتألف النظام الطبقي من ست طبقات، أو من ثلاث طبقات رئيسية كل منها ينقسم بدوره إلى قسمين، وباللغة الدارجة توجد أسماء لهذه الطبقات تستند إلى إحياء المدينة، سكان شارع ميل وسكان شارع سايد، وسكان شارع ريفر بروكر، وتدل هذه التسميات كتعبيرات مهذبة عن التصنيفات الطبقية، والطبقات الست بلغة وارنر من الطبقة العليا– العليا، العليا، العليا الدنيا، الوسطى العليا، الوسطى الدنيا، الدنيا العليا والدنيا الدنيا حيث تتألف الطبقة العليا العليا من العائلات العريقة التي حافظ أسلافها على وضع مبادئ في المقدمة على مدى ثلاثة أجيال على الأقل، ويلي ذلك العائلات الجديدة العليا الدنيا التي يتشابه أسلوب معيشتها مع أسلوب معيشة العائلات العريقة ولكنه أسلوب مكتسب حديثا، وتتكون الطبقة الوسطى العليا من رجال الأعمال وأصحاب المهن الفتية المتخصصة الذين يتمتعون بقدر من الاستقلالية، وتتألف الطبقة الوسطى الدنيا من صغار التجار والعمال أصحاب الياقات البيضاء، ويشكل عمال المصانع السواد الأعظم من الطبقة الدنيا العليا، أما الطبقة الدنيا الدنيا الأخيرة فتتكون من ساكني ريفريروكر الذين يعملون بصفة غير منتظمة، ويحصلون على قوت غير مضمون من العمل العرضي، أعمال الحفر وصيد البحر والمهن غير النظامية.

فالعضوية التي تبدو مؤثرة وهامة في "يانكي سيتي" هي عضوية الأسرة، والزمرة، الرابطة، والجماعة الاقتصادية، ولكل جماعة من هذه الجماعات نمطها الطبقي الخاص بها، فأعضاء نفس الأسرة عادة ما ينتمون إلى نفس الطبقة، وأعضاء الزمرة ينتمون إلى طبقتين متقاربتين، وأعضاء الرابطة ينتمون إلى تشكيلة من الطبقات تبعا لطبيعتها، أما أعضاء الجماعة الاقتصادية فيتفاوتون تفاوتا حادا من الناحية الطبقية.

ويدعم النسق الطبقي نفسه بفاعلية واضحة، ويعود ذلك إلى أن الأفراد المستائيين يهاجرون إلى مكان آخر، أما الأفراد الذين يظلون موجودين يقبلون قيم "يانكي سيتي" ويتوقف أي نوع من الحراك الصاعد داخل هذا المجتمع على رغبة أشخاص من الطبقة الأعلى في انضمام الشخص الطامح إلى مكانة أعلى، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تكون كل طبقة (حتى

الطبقة العليا العليا) كبيرة بدرجة تمنع أي فرد أو زمرة أن تحتكر الوصـول إليها، وأي مرشـح للعضـوية في الطبقة حر في أن يبحث عن مدخل ثان إذا صـعب عليه الدخول من المدخل الأول، وهكذا تمضـــي أرامل الطبقة العليا في "يانكي ســيتي" حياتهن في شــبكة معقدة من الخدع الخطيرة.

ويمكن تفسير كل تجمع اجتماعي سواء من جانب الباحثين أو من خلال الأشخاص العاديين بأنه عبارة عن جولة من لعبة مسـتمرة من اجل إحراز نقاط المكانة، وتتم ممارسـتها بأسـلوب هادئ بين أفراد الطبقة الدنيا".

تنظيم الحياة في يانكي سيتي من خلال النسق الطبقي:[68]

يلاحظ أن اليانكيين (هم الأشـــخاص المنحدرون من المســـتوطنين الانجليز الأوائل في نيو انجلند) هم الجماعة الســـائدة، ويشـــكل اليانكيون من أصـــل محلي حوالي نصـــف مجموع الســـكان، وهم ممثلون في جميع الطبقات الســـت خاصـــة في الطبقتين العليا والدنيا، وينتمي حوالي ربع السـكان إلى جماعات عرقية عديدة بدأت تسـتوطن يانكي سـيتي في الأربعينيات من القرن الماضـــي، وهم ممثلون في جميع الطبقات باسـتثناء الطبقة العليا–العليا، ويبدو أن جميع الجماعات العرقية ارتفعت مكانتها بالطرد وقت إجراء الدراســة مع تزايد نسـبة السـكان الوطنيين وانتهاء عزلتهم الثقافية عن أغلبية السكان.

ومع أن وارنر أشـــار إلى تنظيم الحياة في يانكي ســـيتي، فان النســـق الطبقي ليس تنظيما بالمعنى المألوف عند عالم الاجتماع، أي نسـق اجتماعي له أهداف جمعية واضـحة، وحتى الوقت الذي وصـــل فيه فريق البحث لم يوجد فرد واحد في هذه المدينة كانت لديه معرفة واضحة بالنسق الطبقي، مع أن كل فرد لديه تصور عن بعض ملامحه، وهذا النسق الطبقي

[68]- محمد الجوهري، مرجع سابق، ص153.

نمط تلقائي ينتج تدريجيا عن ظروف تاريخية وأصـــبح قادرا على الاســـتمرار لان نيو برى يورت، تتميز بحجم ثابت نسبيا من السكان، ولم تتعرض لأية ضغوط حادة من الخارج.

ومع أن النسـق الطبقي في يانكي سـيتي، يرتكز في النهاية على ملكية رأس المال والوصـول إلى الأوضـاع من خلال فرص الكسب المختلفة فانه يصـعب تفسير هذا النسق تفسيرا كاملا من خلال العوامل الاقتصـــادية وحدها، فالناس في كل طبقة أكثر ثراء في المتوســـط عن الناس في الطبقة الأدنى منها، بيد أن هناك فجوة زمنية وأحيانا ما تكون فترة زمنية طويلة للغاية، بين أن التغير في الوضـع الاقتصـادي للأسـرة، والتغير المقابل في مكانتها لدرجة أن تفرا من أعضاء الطبقة العليا–العليا يعيشون في فقر تقريبا في حين يحوز بعض أفراد الطبقة الوسـطى– الدنيا دخولا مرتفعا، ويبدو أن المحك الرئيسـي للنسـق الطبقي لا يتمثل في مقارنة الدخول، بل يتمثل في مجموعة معقدة ودقيقة ومتشـعبة من القواعد يتم بواسـطتها اختيار أو رفض الأفراد لأنماط معينة من العلاقات.

مرتكزات دراسة وارنر ليانكي سيتي:[69]

ملكية رأس المال والوصـول إلى الأوضـاع من خلال فرص الكسـب المختلفة فانه يصـعب تفسير هذا النسق تفسيرا كاملا من خلال العوامل الاقتصادية في كل طبقة، فالناس في كل طبقة أكثر ثراء في المتوسط عن الناس في الطبقة الأدنى منها، بيدا أن هناك فجوة زمنية.

النسق الطبقي يعود أي أن الأفراد المستاءين يهاجرون إلى مكان آخر أم الأفراد الذين يظلون موجودين يقبلون قيم يانكي ســـيتي ويتوقف أي نوع من أنواع الحراك الصـــاعد داخل هذا المجتمع على رغبة أشـــخاص من طبقة الأعلى في انضـــمام الشـــخص الطامح إلى طبقة أعلى.

[69]- محمد الجوهري، مرجع سابق، ص154.

إسهامات مشروع يانكي سيتي:[70]

–انتشار وجهة نظر الأمريكيين عن مجتمعهم واتضح أن التنوع الأمريكي هو أساس التجانس المنظم في المجتمع الأمريكي مع ذلك فان هذا التطور كان له ثمنه ما دام أن النسق الطبقي الذي نما في نيو برى بورث كان بطبيعته سـريا وغير معترف به وانحراف غير شـرعي عن المثل الأمريكية السائدة عن الديمقراطية والمساواة بين الأشخاص.

– وقد أمكن الباحثين من خلال هذا النسق أن يغيروا من طبيعته إلى حد ما وان يبرهنوا على صحة حجج من ادعوا مكانة عليا.

– التسليم بوجود نسق طبقي في الولايات المتحدة الأمريكية.

– النسـق الطبقي الموجود في أمريكا مؤلف من سـتة طبقات موجودة في مجتمعات أخرى دون الحاجة للبحث عن ذلك.

نتائج مشروع يانكي سيتي:[71]

وقد أسهم مشروع يانكي سيتي على مزاد دراسات ميدلتاون أن وجود بيت من الدعارة أو ثلاثة بيوت لممارسة الدعارة أوضحت الدراسة ممارستها في الخفاء، وبعد عشر سنوات اكتشف هو وزوجته أن ميدلتاون في عام 1925 تمثل مركزا للدعارة لإقليم كبير وأنهما فشـلا ملاحظة وجود منطقة حي البغاء بجانب حي الأعمال وأصبح وزوجته على دراية بان نسبة كبيرة من السكان كانوا يعيشون في مساكن متهدمة لا توجد بها مياه نقية أو تدفئة كافية، وان إدمان المسـكرات كان منتشـرا عام 1925، والاهم من ذلك أن ليند وزوجته أعاد النظر في وجهة نظرهما السـابقة، حول البناء الطبقي لتأخذ في الاعتبار دور الأسـرة ذات النفوذ التي كانت تمتلك الصناعة المحلية الرئيسية.

---

[70]- المرجع السابق، ص155.
[71]- المرجع السابق، ص ص 145- 155.

وأدرك ليند وزوجته وجود طبقة عليا ناشـئة تتكون من رجال الصـناعة الأثرياء، وأصـحاب البنوك والمديرين المحلين للشركات الوطنية، وقلة ثرية تابعة لهذه الجماعات.

وكذلك من النتائج المتوصـل إليها، انتشـار وجهة نظر الأمريكيين عن مجتمعهم واتضـح أن التنوع المحلي هو أساس تجانس النظم في المجتمع الأمريكي، مع ذلك فان هذا التصور كان له ثمنه ما دام أن النسـق الطبقي الذي نما في "نيو برى يورث" كان بطبيعته سـريا، وغير معترف به، وانحرافا غير شـرعي عن المثل الأمريكية السـائدة عن الديمقراطية والمسـاواة بين الأشـخاص، وقد أمكن للباحثين من خلال إظهار معالم هذا النسـق، أن يغيروا من طبيعته إلى حد ما وان يبرهنوا على صـحة من ادعوا مكانة عليا، وان يحصـلوا من الصـعب على الجماعات الوسطى والدنيا ادعاء المساواة النظرية، وهو الادعاء الذي كان موجودا من قبل، ومع الشـباب تم التسـليم على نطاق واسـع بوجود نسـق طبقي في الولايات المتحدة، كما أن النسـق الطبقي المؤلف من سـتة طبقات الذي وجده "وارنر" في نيو برى بورث موجود في مجتمعات أخرى دون حاجة للبحث عن ذلك.

الدرس الخامس:

خامسا: اختيار الشعب عند بول لازار سفيلد

هناك بعض الأبحاث التي تندرج ضمن تأثير وسائل الإعلام ولكن ليس تأثيرا مباشرا وإنما تأثيرا غير مباشر، وذلك نتيجة لمجموعة من المجهودات التي قام بها بعض الباحثين الأمريكيين من أمثال: (هيرتا هيرزوغ) وَ(روبرت ميرتون) وَ(بول لازار سفيلد) وَ(إليهو كاتز)، حيث قاموا بوضع منهجية بحث تجريبي لدراسات جمهور وسائل الإعلام توصلوا من خلالها إلى دحض النظرة المتشائمة لجمهور وسائل الإعلام[72]. ومن بين هذه المجهودات التي شكّلت قطيعة مع أنموذج التأثير المباشر؛ تلك التي قام بها Paul Lazar sfeld في دراسته "اختيار الشعب"، إذ توصل من خلال بحثه إلى مفهوم تدفق الاتصال على مرحلتين "two step–flow of communication. حيث يَعْتَبِرُ أن الاتصال الشخصي يلعب دورا مهمّا في التأثير على أراء ومواقف الجمهور أثناء الحملات الانتخابية، وذلك عن طريق قادة الرأي الذين يستطيعون أن يؤثروا على الجمهور لتغيير مواقفهم[73].

نبذة عن بول لازار سفيلد:[74]

ولد عالم الاجتماع، النمساوي الأصل، بول فيلكس لازار سفيلد في فيينا في 13 فبراير 1901، في أسرة نشطت في مجال الفن والثقافة والسياسة؛ فوالده روبرت (Robert) كان محاميا مشهورا بدفاعه عن النشطاء السياسيّين الشباب مجانا، ووالدته صوفي (Sofie) اختصّت في التحليل النفسي، وتدربت على يد ألفريد أدلر(Alfred Adler) ، ولها كتاب عن تحرير النساء؛ وهو ما شجّعه ليكون عضوا نشيطا وقياديّا في المنظّمات الطلاّبيّة الاشتراكيّة،

[72] - David MORLEY, Audience Research

[73]- محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 3، 2004، ص 237.

[74]- سيلز، د.إل، الموسوعة الدوليّة للعلوم الاجتماعيّة ، مترجم، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2010، ص238.

بلغ حدّ تأسيس جريدة شهريّة للطلبة الاشتراكيّين. وقد أسهم في إنشاء ما سمّي بـــ"الكباريه السياسي" الذي لعب دورا مهما في تطوير تاريخ فيينا السياسي والمسرحي.

نال لازار سفيلد شهادة الدكتوراه في علم الرياضيات التطبيقيّة من جامعة فيينا سنة 1925، وتعرّف أثناء دراســته على عالمي النفس كارل وشــارلوت بوهلر اللذين درّســاه، وتأثّر بهما وعمل معهما في معهد بوهلر النفســي، تحديدا مســاعدا لشــارلوت بوهلر في أبحاثها عن الطفولة المبكّرة ونموّ الشباب. ممّا أتاح له فيما بعد تأسيس قسم خاص في المعهد النفسي، يُعنى بتطبيق علم النفس على المشكلات الاجتماعيّة والاقتصاديّة.

انتقل لازار سفيلد سنة 1933 إلى أمريكا، بعد أن تحصّل على منحة من مؤسّسة روكفلر، التي أكبرت دراســته حول قرية مارينيثال، وثمّنت ما جاء فيها من نتائج اســتندت إلى منهج تكاملي، يجمع بين الملاحظات الكمّيّة والكيفيّة؛ وهي دراسة كان لها أثر كبير في عدّة أجيال لاحقة من علم الاجتماع. ومع أنّ النازيين عملوا على منع ظهورها ونشــرها، فإنّها باتت منذ سنة 1978 "جزءا من مقرّرات علم الاجتماع في الجامعات النمساويّة"[75].

واســتقرّ لازار ســفيلد بالولايات المتّحدة الأمريكيّة، وانصــرف إلى إنجاز عدد من المشــاريع البحثيّة، ووجد دعما كبيرا من روبرت ليند، فتمكّن من إنشــــاء مركز للبحوث في جامعة نيوارك (Newark) حول البطالة، وتولّى الإشراف على دراسة أقرّتها مؤسسة روكفلر حول التأثيرات الاجتماعيّة للراديو، لتتحوّل إلى مركز أبحاث. انطلق في جامعة نيوارك، لينتقل إثرها إلى مدينة نيويورك في مقرّ مستقلّ به.

وفي سنة 1939 تمّ تعيين لازارسفلد محاضرا بجامعة كولومبيا، ثمّ أستاذا مساعدا في علم الاجتماع، حيث ظلّ إلى حين إدراكه سنّ التقاعد سنة 1969. وفي سنة 1944 تحوّلت تسمية مكتب بحوث الراديو إلى مكتب البحوث الاجتماعيّة التطبيقيّة.

---

[75]- سيلز، 2010، ج2، ص 238.

وفي سنة 1962 أصبح لازارسفلد أستاذ كرسي كتليه للعلوم الاجتماعيّة، وقد أنشئ هذا الكرسي خصيصا له؛ فقد كان يؤمن بأنّ الإحصائيّ البلجيكي أدولف كتليه (Adolphe Quetlet) هو المؤسّس الحقيقي لعلم الاجتماع الإمبريقي. ولم يتوقف لازارسفلد عن التدريس حتّى إثر تقاعده؛ فقد كان يقدّم دروسا في جامعة بتسبرغ، باعتباره أستاذا متميّزا منذ سنة 1969 حتّى وفاته سنة 1976.

من مؤلّفاته نذكر : مقالة مشتركة مع روبرت ميرتون حول "وسائل الاتصال والذوق العام والفعل الاجتماعي المنظّم" (1948)، وكتاب مشترك مع كندال (Kendall) حول "مشكلات تحليل المسوح"، دراسة عن الانتخابات الرئاسيّة بعنوان "خيارات الناس" (1940)، وكتاب "مذكرات تاريخيّة عن الدراسات الإمبريقيّة للفعل: الأوديسا العقلانيّة" (1958).

نشأة النظرية:

لقد أتت هذه النظرية ردا على نظرية التأثير المباشر حيث صاغ كل من **كاتز** و **لازار سفيلد** نموذجا ينفي ذلك التأثير السحري لوسائل الاتصال بعد نتائج الانتخابات الرئاسية الأمريكية عام 1940 عندما نجح **فرنكلين روزفلت** للمرة الثانية رغم معارضة الإسلام له بشتى أنواعه .هذه النتيجة استثارت جملة من التساؤلات حول الاعتقاد بقوة تأثير وسائل الإعلام وانفرادها في هذا المجال والبحث عن العوامل التي أدت إلى هذه النتيجة من خلال الدراسة التي أجراها **لازار سفيلد** وزملاؤه بعنوان" خيار الأمة "عام 1940 ودراسة "التأثير الشخصي " عام 1955 ومن أهم نتائج تلك الدراسات أن تأثير وسائل الإعلام ليس تاما وقويا 100 % كما يدعي البعض بل هو مرتبط بدرجات كبيرة بالأبعاد السوسيولوجية وقوة العلاقات الاجتماعية إذ هناك نوع من التسلسل فوسائل الإعلام تقوم في خطوة أولى ببث رسائل منظمة ليس نحو الجمهور مباشرة وإنما نحو وسيط هو الذي يقوم ببثها في خطوة ثانية نحو الجمهور وان قادة الرأي كان لهم الأثر الكبير في اتجاهات الناخبين أكثر من الأثر الذي كان متوقعا أن تحدثه وسائل الاتصال الجماهيرية وبخاصة الإذاعة والصحف لهذا فسر

الباحثون نتائج الانتخابات الأمريكية بقولهم" أن الرســـائل الإعلامية لم تكن ذات تأثير عبر متغير وسيط هو قادة الرأي ".

الدراسة التي قام بها بول لازار سفيلد:[76]

في انتخابات الرئاســـية الأمريكية عام 1940 كان على الناخبين في مقاطعة "ايري" بولاية "أوهايو" أن يقرروا ما إذا كانوا سيدلون بأصواتهم لصالح الرئيس "فرانكلين رزفلت" لفترة رئاسة ثالثة، أم لصـالح نظيره الجمهوري "وندل ويلكي"، أم سـيعزفون عن الاشـتراك في الانتخابات كلية.

وقام "بول لازار سفيلد" وهو مؤسس مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية في جامعة كولومبيا بإجراء بحث للكشف عن كيفية اتخاذ هذا القرار، وتقل عدد صفحات تقرير نتائج البحث عن 200 صـــفحة، غير أن هذا البحث كانت له أثار بعيدة المدى على النظرية والممارســـة السياسية التي وفرت تراثا غزيرا منذ ذلك الوقت حول العوامل التي تحدد نتائج الانتخابات في البلاد الديمقراطية.

وقد جاء مشـروع بحث مقاطعة "ايري" نتيجة للاسـتخدام المكثف لاسـتطلاعات الرأي العام لتقدير اتجاهات الناخبين في الحملات الانتخابات في الثلاثينيات، كما جاء نتيجة لبحوث جمهور المســـتمعين والقراء التي قامت بها الشـــبكات الإذاعية والمجلات القومية في نفس الوقت لمضـاعفة تأثير حملاتها الدعائية، وقد تم تدبير الجانب الأكبر من تمويل هذا البحث من جانب إحدى المجلات القومية وإحدى مؤسسات بحوث الرأي العام.

"وقد جمعت البيانات بواسطة باحثين قاموا بزيارة عينة إحصائية ممثلة للسكان وحصلوا على إجاباتهم على اسـتبيان مقنن وكانت هذه الدراسـة مع ذلك أكثر دقة وإحكاما مما هو مألوف في مسـوح الرأي العام، وقام الباحثون بزيارة المنزل الرابع في كل شـارع من شـوارع المقاطعة

---

[76]- محمد الجوهري، مرجع سابق، ص ص 166- 167.

لتحديد إطار معاينة مكون من 3000 ناخب تقريبا على أن يكونوا ممثلين لجملة السكان من حيث: العمر، النوع، الإقامة، التعليم، امتلاك الهاتف والسيارة، والموطن الأصلي، تم اختيار أربع عينات من هذا الإطار وتتكون كل عينة من 200 مفردة تتشـــابه في الخصـــائص الســـابقة، ووقع الاختيار على إحدى هذه العينات لتكون العينة الأســـاســـية، وتمت مقابلة مفرداتها مرة كل شــهر من مايو إلى نوفمبر من ذلك العام، وجرت المقابلة الأولى قبل انعقاد مؤتمرات الترشـــيح التي تعقدها الولايات المتحدة الأمريكية، وتمت المقابلة الأخيرة بعد إجراء الانتخابات، أما مفردات العينات الثلاث الأخرى فقد تمت مقابلتهم على فترات مختلفة، وتمثل هذه العينات الثلاث الأخرى مجموعة ضـــابطة لاختيار تأثير تكرار المقابلة على العينة الأساسية. وقد ركزت الدراسة على اتجاه المبحوثين في عملية التصويت في انتخابات شهر نوفمبر "[77].

"والتغيرات التي طرأت على هذا الاتجاه من مقابلة إلى أخرى وإذا حدث تغير ما في اتجاه التصويت لدى المبحوث يتم سؤاله عن أسباب ذلك تفصيلا وعن الملابسات المرتبطة به، وتم تسجيل اتجاهات المبحوثين عند تعرضهم لحملات الدعاية الانتخابية تسجيلا دقيقا، ولم يضم التقرير المطبوع نص الاستبيان، غير أننا نعلم انه يتضمن معلومات وافية حول سمات المبحوث الشخصية (البيانات الأساسية)، وفلسفته الاجتماعية، وتاريخه السياسي، وسمات شخصيته، وعلاقاته مع الأصدقاء والأقارب، وعضويته في التنظيمات، ولانتمائه الديني وأرائه في القضايا الجارية"[78].

نتائج الدراسة التي قام بها بول لازار سفيلد:[79]

---

[77]- المرجع السابق، ص 167.
[78]- المرجع السابق، ص 168.
[79]- المرجع السابق، ص ص 168- 169.

تتلخص النتيجة الرئيسية لهذه الدراسة في أن اختيار الأغلبية العظمى من الناخبين يمكن التنبؤ به من خلال ثلاث خصائص اجتماعية فقط هي: المكانة الاجتماعية، الاقتصادية، الانتماء الديني، الإقامة الريفية أو الحضرية.

إذ يتبين أن المكانة المرتفعة والنزعة البروتستانتية والإقامة الريفية تجعل الناخبين يميلون إلى المرشح الجمهوري، في حين أن المكانة المنخفضة والنزعة الكاثوليكية والإقامة الحضرية تجعل الناخبين يميلون إلى المرشح الديمقراطي، وقد أمكن للباحثين باستخدام هذه العوامل وحدها أن يصمموا مقياسا للتعرف على التوجه السياسي للفرد، ويفيد في التنبؤ بالسلوك الانتخابي بصفة عامة، وقد وصل الباحثون إلى هذه النتيجة على الرغم من أن قياس هذه الخصائص الثلاث كان قياسا تقريبيا إلى حد كبيرا، فقد اعتمد تقدير المكانة الاجتماعية، الاقتصادية مثلا على التقدير الذاتي للمبحوث لمسكنه وممتلكاته ومظهره وطريقة كلامه، ولم يتم قياس الانتماء الديني بالمواظبة على التردد على الكنيسة أو أي مقياس آخر من مقاييس المشاركة الدينية".

ويتأثر اختيار الناخب بتاريخه السياسي إلى حد ما بالإضافة إلى خصائصه الاجتماعية، فقد اتضح على سبيل المثال أن جميع الجمهوريين الذين أعطوا أصواتهم لصالح "لاندون" ضد "روزفلت" عام 1936، فقد أعطوا أصواتهم ل "ويلكي" عام 1940.

وهناك مثال آخر هو أن معظم الناخبين الجدد ساروا على نفس التفضيلات الحزبية لوالديهم عندما أدلوا بأصواتهم للمرة الأولى.

أن الناخبين الأكثر اهتماما بالانتخابات، والذين يشاركون في حملات الدعاية والذين يعرضون أنفسهم للاتصالات السياسية يتخذون قرارهم قبل إجراء الانتخابات أو حتى قبل انعقاد مؤتمرات الترشيح في كل ولاية، ونجد من بين الناخبين المترددين إعدادا ضخمة من النساء، وصغار السن والفقراء وغير المتعلمين وقد لا يدلى هؤلاء بأصواتهم.

وليس الناخب اللامبالي وحده هو الذي يؤجل قراره، إذ يتعرض الناخبون لضـغوط متعارضـة عندما ينتمون إلى جماعات ذات اتجاهات متعارضـــة في التصـــويت، إذ يتعرض أغنياء الكاثوليك لضـــغوط متعارضـــة، ومن ثم يميلون إلى تأجيل قرارهم، كما لو كانوا ينتظرون الأحداث كي تبدد هذه الضـغوط المتصـارعة، ومن بين الضـغوط المتعارضـة التي توصـل الباحثون إلى التعرف عليها تبين أن أكثرها تأثيرا في تأجيل القرار هو انعدام الاتفاق داخل أسرة الناخب بسبب انقسام الرأي بين أفراد الأسرة، بل أن بعض الناخبين يظلون على ترددهم إلى أن يدخلوا بالفعل حجرة الاقتراع ولكنهم يبددون هذه الضـغوط المتعارضـة بان يصـوتوا على نفس طريقة اقرب الأقرباء إليهم.

ومن ابرز النتائج المهمة لهذا البحث أن نفس العوامل التي تجعل الناخب يميل إلى اتخاذ قرار مبكر بشان مرشح أو آخر تستمر في تأثيرها عندما يعجز عن اتخاذ نفس القرار، ويتأثر اختياره النهائي في الاتجاه المعتاد بخصائصه الاجتماعية حتى في مثل هذه الظروف".

الدرس السادس:

سادسا: التناقض الأمريكي عند غونار ميردال

مفهوم التناقض الأمريكي:

هو حالة من الصـــراع أو التوتر بين الزنوج والبيض الأمريكيين أي في العلاقة الاقتصـــادية والاجتماعية والسياسية، وينحصر هذا التناقض في الأزمة الأخلاقية للشعب الأمريكي[80].

نبذة عن حياة غونار ميردال:[81]

جونار ميردال (Gunnar Myrdal) هو اقتصـادي سويدي من مواليد جوستاف لابرشيه ولد في السويد في 6 ديسمبر 1898 وتوفي في سنة.1987

تخرج من كلية الحقوق من جامعة سـتوكهولم عام 1923 وبدأ ممارسـة القانون مع مواصـلة دراسـته في الجامعة. حصـل على درجة الدكتوراه في الاقتصـاد في عام 1927 حيث عمل في الاقتصاد السياسي من 1925 إلى 1929 ودرس فترات في ألمانيا وبريطانيا.

"كانـت رحلتـه الأولى إلى الولايـات المتحدة في 1929–1930 لزمالـة روكفلر وخلال هذه الفترة صـدر أول كتاب له عن "التأثير السـياسـي في تطور النظرية الاقتصـادية" ثم عاد إلى أوروبا وعمل أستاذا مساعدا في المعهد العالي للدراسات الدولية في جنيف بسويسرا. في عام 1933 شـغل وظيفة أسـتاذ كرسـي "ارس بيرتا" في الاقتصـاد السـياسـي والمالية العامة في جامعة سـتوكهولم، بالإضـافة إلى الأنشـطة التعليمية وكان ناشـطا في السـياسـة السـويديه

[80]- تيودور كابلوف، البحث السوسيولوجي، دار الفكر الجديد، بيروت، 1979، ص 57.
[81]- المرجع السابق، ص 58.

وانتخب عضوا في مجلس الشيوخ في عام 1934 وعضوا في الحزب الديمقراطي الاجتماعي في 1938.[82]

عاد إلى السويد عام 1942 وأعيد انتخابه لمجلس الشيوخ السويدية وعمل عضو في مجلس إدارة البنك السويدي وكان رئيسا لجنة تخطيط ما بعد الحرب في الفترة (1945–1947) وكان وزير التجارة في السويد، ثم شغل منصب الأمين التنفيذي للجنة الأمم المتحدة الاقتصادية لأوروبا في 1957, واتجه بعد هذا مباشرة إلى دراسة شاملة عن الاتجاهات والسياسات الاقتصادية في بلدان جنوب آسيا في للقرن العشرين وبحث في الفقر وتحدي الفقر في العالم ومن عام 1961 عمل في برنامج مكافحة الفقر، ثم عاد إلى السويد وشغل وظيفة أستاذ الاقتصاد الدولي في جامعة ستوكهولم وأصبح رئيس مجلس إدارة معهد ستوكهولم الدولي لبحوث السلام في ستوكهولم وأصبح رئيس مجلس إدارة معهد أمريكا اللاتينية في ستوكهولم وفي الفترة(1973–1974) كان زميل وباحث زائر في مركز دراسة المؤسسات الديمقراطية في سانتا باربرا بولاية كاليفورنيا، وفى الفترة(1974–1975) كان أستاذا زائرا في جامعة نيويورك. حصل سنة 1974 على جائزة نوبل في الاقتصاد.

"حصل ميردال على أكثر من ثلاثين درجة فخرية بدءا من جامعة هارفارد 1938 وقد تلقى العديد من الجوائز كان آخرها جائزة مالينوفسكي من جمعية الانثروبولوجيا التطبيقية وكان عضو في الأكاديمية البريطانية والأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم وكان عضوا في الأكاديمية السويدية الملكية للعلوم وزميل في جمعية الاقتصاد وعضو شرف الرابطة الاقتصادية الأمريكية. كانت زوجته الأول ريمير ألفا تولت مناصب رفيعة في الأمم المتحدة واليونسكو وكانت سفيرة السويد إلى الهند وأصبحت وزيرة لنزع السلاح والكنيسة بالسويد. وتوفى جونار عام 1987"[83].

---

[82]- عبد الفتاح حسن، تاريخ الامريكيتين وتكوين السياسي للولايات المتحدة الامريكية، 2003، ص214.

[83]- تيودور كابلوف، مرجع سابق، ص58.

دراسته من الجانب الاقتصادي:

يتألف مفهوم ميردال الاجتماعي– الاقتصادي من مجموعة واسعة من العلاقات الاجتماعية. فهناك عدد من الشروط الاقتصادية وغير الاقتصادية، الهامة والمترابطة، التي تتفاعل على الدوام لخلق التغير الاجتماعي. وضمن الشروط الاقتصادية الهامة: مستوى وطرق الإنتاج، وإنتاجية العمل، وتوزيع الدخل، ومستوى الاستهلاك. أما الشروط الهامة غير الاقتصادية التي أدخلها ميردال في تحليله، فتشمل: طبيعة التسهيلات التعليمية والصحية، والمواقف من الحياة والعمل– وبخاصة عند تأثرها بالدين. والشروط الأخرى هي الأخلاق والمؤسسات الرئيسية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وبخاصة تلك التي تؤثر على اصطفاف القوة power في المجتمع، والقواعد المعمول بها التي وضعتها السلطات المسئولة عن هذه المؤسسات[84]. وكنتيجة لذلك، آمن ميردال بأن المشاكل "الاقتصادية" لا يمكن درسها بمعزل عن، بل فقط ضمن، إطارها السكاني والاجتماعي والسياسي.

اعتقد ميردال بأن القوى الأخرى إضافة إلى المصلحة الخاصة (بما في ذلك العواطف والعلاقات ما بين الأفراد، كالثقة) تؤثر على القرارات الاقتصادية لأعضاء المجتمع. ولكنه لم ينظر إلى عدم المساواة كشرط مسبق للكفاءة الاقتصادية والنمو. وبدلاً من ذلك، اعتقد ميردال بأن المساواة الأكبر يمكن أن تشجع الكفاءة والنمو، كما كان هو الحال في السويد منذ أوائل الثلاثينات وحتى أواخر الثمانينات. وقد وُجدَ بأن الالتزام بالقيم المشتركة، كالمساواة، من شأنه رعاية التعاون، وليس التنافس، بين المؤسسات غير– السوقية من خلال خلق الإجماع بين صانعي القرار. ومن شأن ميردال أن يوافق على إن مؤسساتٍ وعملياتٍ كوزارة التجارة الدولية والصناعة في اليابان والتخطيط التأشيري في فرنسا تبين بأن مخططات

[84] - **Angresano, Comparative Economics**

التخصيص والتوزيع غير السوقية كانت قادرة على تشجيع الكفاءة، والنمو، وتحقيق مساواة أكبر [85].

وبخلاف الخبراء في أوروبا الوسطى والشرقية، لم يعتقد ميردال بأن عدداً كبيراً من المنظِّمين، الباحثين عن الربح والذين يعرضون ابتكارات جانب العرض supply-side innovations، يُتوقع أن يظهر بسرعة في كل بلد- وبخاصة في البلدان التي تعمل بشكل بائس والتي شرعت فجأةً بتشجيع الاستثمار وتحويل مؤسساتها الرئيسية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. وبإشارته إلى الفروق في الظروف كتوفر المواد الأولية، والمناخ، ونمو السكان، ونوعية الحكومة واستقرارها، والدوافع الاجتماعية، والآليات بين البلدان الغربية المصَّنعة وباقي العالم، فإن ميردال حاججَ ضد توقع ظهور شيء من طبقة المنظِّمين الموهوبين الذين يستجيبون بشكل تلقائي وعقلاني للفرص الاستثمارية في كل البلدان.

وتوجد في مفاهيم ميردال، علاقات سببية مترابطة بين العوامل التكنولوجية، والموقفية attitudinal، والمؤسسية، أثناء عملية التغير الاجتماعي. وبخلاف معظم الاقتصاديين، حاججَ ميردال بأن الدافع الأصلي لإطلاق التغير التراكمي ضمن آلية اجتماعية معقدة سيأتي من التغيرات في المواقف والمؤسسات أكثر مما سيأتي من التكنولوجيا أو المتغيرات الاقتصادية كالأسعار أو معدلات الفائدة. ومَنْ يسعى لتوجيه التحول في اقتصاد ما، كما يقول ميردال، عليه أن يدرك بأن التغير في المواقف والمؤسسات ينبغي أن يسبق التغيرات في العوامل الاقتصادية. وكان مؤمناً بعدم وجود "مشاكل اقتصادية"، بل الأصح هو أن الأنظمة الاجتماعية تملك مشاكل مختلطة ومعقدة لها مكونات سياسية واجتماعية وثقافية- فكل الجوانب مترابطة وينبغي درسها في إطار تعقدها الثقافي. ومن الضروري بالنسبة للمحِّلل أن يشخص العلاقات السببية بين هذه المتغيرات واقتراح السياسات المنسجمة مع مواقف ومؤسسات المجتمع. وقد استشهدَ ميردال "بالثورة الخضراء" (إدخال بذور القمح والرز

85 - ELLIOTT , SCHUMPETER .

المهجَّنة التي، في ظل الظروف المثلى، يمكن أن تُزيد إنتاجية الأرض مرتين أو أربع مرات) كمثال على مفاهيمه التي تم تجاهلها. فقد جرى إدخال التغير التكنولوجي قبل التغير الموقفي والمؤسسي، مما قاد إلى نتائج غير مؤاتية لعقود من الزمن بالنسبة لغالبية الفلاحين الفقراء الذين لم يحققوا سوى منافع بسيطة من إدخال البذور الجديدة دون تجهيز التغيرات التكميلية أيضاً (كالتزود بالماء بصورة أفضل، والأسمدة، أو القروض).

كان ميردال يدرك الفروق الموقفية والمؤسسية الهامة بين المجتمعات وحاججَ، لذلك، بعدم وجود مجموعة فريدة من السياسات من شأنها أن تقدم الحل الشافي لأي بلد panacea. إن الخبراء الحاليين لأوروبا الوسطى والشرقية، الذين كلهم تقريباً لا يشاركون ميردال مفاهيمه، يلمحون إلى أن سياساتهم الاقتصادية الكلية الشاملة للاستقرار والخصخصة هي، في الواقع، الحل الشافي لجميع بلدان الإقليم. ومن شأن ميردال أن ينتقد بقوة هذه السياسات القائمة على نماذج ضيقة ومغلقة تشدّد بسهولة على المتغيرات الكمية القابلة للقياس مع إهمال العوامل غير الاقتصادية كالمواقف، والصحة، والتعليم، بوصفها سياسات غير ملائمة ومضلِّلة، لأنها تهمل العقبات الأولية للتحول والتنمية المجتمعية. وفي حالة أوروبا الوسطى والشرقية، تتضمن هذه العقبات غياب التنافس الفردي القائم على الإنجاز achievement-oriented individualistic competitiveness، ونقص الثقافة المدنية التي تجعل الناس يؤيدون برغبتهم قوانين التجارة، وغياب ثقافة الأعمال التي تجعل للأفراد توجهات استهلاكية، وتجعل السلطات السياسية فاسدةً. نقد الاقتصاد الكلاسيكي الجديد كان نقد ميردال للاقتصاد الكلاسيكي الجديد شاملاً[86]. إذ أدرك عدم كفاية المنهج التوازني الستاتيكي لهذا الاقتصاد لتحليل المشاكل الاجتماعية، وبخاصة تأكيده بأن العملية، التي

---

[86]- أنظر أعمال ميردال التالية: **Rich Lands and Poor (New York: Harper, 1957); Value in Social Theory: A Kegan Paul, 1958); & Selection of Essays on Methodology, ed., Paul Streeten (London: Routledge Asian Drama: An Inquiry into the Poverty of Economic Theory (Cambridge, Mass., Harvard University Press, 1969); An American Dilemma: The Negro Problem and Modern Democracy (New . York: Pantheon, 1975); Against the Stream; and "Institutional Economics**

بموجبها تخلق التغيراتُ في عامل اقتصـــادي داخلي أســـاســـي تعديلاتٍ تالية في العوامل الاقتصادية الأخرى، هي عملية نمطية بالنسبة للتغير الاجتماعي.

وكان ينتقد، بشـــكل خاص، فكرة الكلاســـيك الجدد عن الحتمية الاقتصـــادية economic determinism التي تقول بأن هناك "عاملاً أســـاســـياً" واحداً يهيمن إلى حد أن التحولات الاقتصـــادية والاجتماعية الهامة يُتوقع أن تنتج عن تغيرٍ عامل ما، كالتغير في الأســـعار النسـبية أو خصـخصـة منشـأة ما كانت مملوكة سـابقاً من قبل الدولة. وكنتيجة لذلك، يقرّع ميردال معظم الاقتصـاديين (بما في ذلك الاقتصـاديين الماركسـيين أو المدافعين عن سـياسـة عدم التدخل الحكومي) لفشـــلهم في أن يراعوا بدرجة كافية العوامل غير الاقتصـــادية رغم تأكيدهم على عامل أســـاســـي معين يُتوقع أن تتكيف له كل المتغيرات الأخرى الاقتصـــادية وغير الاقتصادية بمجرد حصول التغير في العامل الاقتصادي الأساسي. إن تجارب البلدان النامية ودول أوروبا الوسطى والشرقية بعد العام 1989، حيث كان يتوقع حصـول تعديلات ملائمة لتعزيز النمو بعد تحقيق مستويات عالية من الاستثمار أو الخصـخصـة الواسـعة، قد أثبتت مغالطة كل من الرأي القائل بالحتمية الاقتصـــادية والإيمان بوجود ميل قوي جداً في المجتمع للتكيف بطريقة يمكن التنبؤ بها للتغيرات في العوامل الاقتصـــادية من دون الإدخال المســـبق للتغيرات الضـــرورية في الظروف غير الاقتصـــاديـة ذات الصـــلـة. كما ينتقد ميردال الاقتصـــاد الكلاســـيكي الجديد لكونه غير تاريخي، حيث يقدّم أنصـــاره نظرياتهم كفرضيات شاملة تصلح لكل مكان، وزمان، وثقافة. فقد عارضَ بشكل صريح الميل التكنيكي القوي للاقتصـاديين الكلاسـيك الجدد (لاعتبار العوامل غير الاقتصـادية، التي كان يدافع عنها، كعوامل غير هامة)، وبخاصـة التشـديد المبالغ فيه على الرياضـيات في تحليل وتفسير السلوك الاجتماعي، ووصفات السياسة التي تعود جذورها للنظرية الكلاسيكية الجديدة التقليديـة– فكلاهما كـانـا غير ملائمين لكل البلدان غير الأعضـــاء في منظمـة التعـاون الاقتصـادي والتنمية. وبشـكل خاص، يقرّع ميردال صـانعي السـياسـة من الكلاسـيك الجدد

لاختزال كل المشاكل إلى مسألة التخصيص الأمثل للموارد، ولافتراضهم بأن الكفاءة والنمو الاقتصادي الملائم سيتحققان كنتيجة لإقامة الأسواق التنافسية.

طريقة التحليل تتضمن طريقة ميردال في التحليل ثلاثة جوانب متميزة، تقف كل واحدة منها في خلاف حاد مع طرق الكلاسيك الجدد: مواقفه عن الموضوعية في العلوم الاجتماعية؛ وطريقته المركبة في التحليل؛ ونظرية التغير الاجتماعي. وعند أخذها معاً، تشكل هذه الجوانب طريقة تحليلية تتضمن نظرية مفيدة يمكن أن تخدم كأساس لفهم طبيعة اقتصاد مجتمع ما.

أكد ميردال بأن العالِم الاجتماعي لم يكن قادراً على إخفاء مذهبه الإيديولوجي. على العكس، فقد كان يعتقد بأن المعايير المحددة التي يختارها محلِّل ما كأساس للتقييم، وطريقة قياس هذه المعايير، والأهمية النسبية المعطاة لكل معيار، يمكن أن تتأثر بوجهة نظر المحلِّل. كان ميردال مولعاً بالقول: "كل رأي [مفهوم اجتماعي- اقتصادي للواقع واستنتاج] يمتلك وجهة نظر معينة [فرضية معيارية]". وكان يقصد بذلك أن نتائج التحليل تتأثر بالفرضيات المعيارية للكاتب المحلِّل. فالكُتاب يمكن أن يدّعوا بأن ما يكتبونه لا يتأثر بميولهم الشخصية -value free، وبالتحليل الوضعي، ولكن لديهم كلهم "قيم خفية" hidden values تؤثر على استنتاجاتهم ووصفاتهم للسياسة policy. وهذا، كما يقول ميردال، يصح بشكل خاص على الاقتصاديين الكلاسيك الجدد الذين يفضلون، كما يبدو، التجارة الحرة وسياسة عدم التدخل الحكومي. إن عدم ذكر الفرضيات المعيارية لكاتب ما بشكل صريح تقود إلى تحليلٍ واستنتاجاتٍ "متحيزة"، في نظر ميردال- وهي تتذبذب بصورة نظامية في اتجاه مصلحي opportunistic. فميردال من شأنه أن يحاجج بأن أهداف ووصفات السياسة للخبراء الغربيين المقدَّمة لدول أوروبا الوسطى والشرقية، مثلاً، كانت تزخر بالإيديولوجيا المتأصلة في النظرية الكلاسيكية الجديدة.

ولاختزال هذا التحيز في ما يُقدَّم عموماً كتحليل "موضـــوعي"، اقترحَ ميردال على الكُتاب المحلِّين أن يقبلوا بأن الاقتصاد هو علم أخلاقي، وبذلك يعرّفون بشكل صريح وجهة نظرهم، أو الفرضـــيات المعيارية، لتطهير التحليل (إلى المدى الممكن) مما يشـــوّهه من تحيز. وقد رفضَ ميردال الزعم الوضـعي للاقتصـاديين الكلاسـيك الجدد بأن النظرية الاقتصـادية يمكنها إثبـات بـأن المعـايير المؤكـدة موجودة. وبـدلاً من ذلـك، حـاججَ ميردال بـأنـه على العلمـاء الاجتماعيين القبول بأن هذه الفرضـــيات المعيارية هي فوق– علمية extra–scientific ولا تنتج عن التحليل نفســـه، وبأن القوانين الاجتماعية لا وجود لـها، كما هو شـــأن القوانين الطبيعية للكون. تبدأ طريقته في التحليل بتحديد فرضـياته المعيارية الصـريحة التي آمن هو بأنها هامة بالنسبة للمشاكل التي حللها[87].

وقال ميردال بأن عمل ذلك مكّنه من:

1).تطهير البحث العلمي، قدر المســـتطاع، من التحيزات المشِّـــوهة التي هي نتيجة عادية للتحيزات الخفية.

2).أن يحدد بصورة عقلانية وضع المشكلة وتعريفات المصطلحات للتحليل النظري؛

3) أن يضع أساساً منطقياً للاستنتاجات العملية والسياسية[88].

لقد دمجت طريقة ميردال المركبة في تحليل القضـــايا التاريخَ، والســـياســـة، وعلم النفس الاجتماعي، والسـوسـيولوجيا، مع علم الاقتصـاد[89]. فهي تتخلى عن الحدود الجامدة تقليدياً بين أقســام العلم الاجتماعي المســتقل، كما تطورتْ هذه الأقســام بصــورة عملية بما يخدم الأغراض التعليمية والرغبة بالبحوث المتخصصـة. وقد سـاعدَ هذا المنهج على قيام مجموعة

[87]- أنظر: Myrdal, An American Dilemma, 3-25.. وبالنســبة للفقر في البلدان المتخلفة، فقد حددَ هو "أنماط التحديث" الخاصة به his Modernization ideals. أنظر عمله Asian Drama, 49-69

[88] - Myrdal, An American Dilemma.

[89] - Erik Lundberg, Gunnar Myrdal s Contribution to Economic Theory: A Short Survey, Swedish Journal of Economics 74, no. 4 (1974): 472-478; quoted on 480

واســـعة من الملاحظات التجريبية والمعنى العام الضـــروري بدلاً من مناصـــرة إطار نظري ضـــيق، ســـاعدَ على اختيار أو تطوير إطار نظري ملائم لتحليل القضـــية المعنية. ومع أن ميردال اعتمد على نظريته للتغير الاجتماعي لصـياغة تفكيره، فإن منهجه تضّـمنَ تأكيداً أقل على الدقة والتحليل الشكلي بالمقارنة مع منهجه في تناول النظرية الاقتصادية لدى الكلاسيك الجدد.

اســتخدمَ ميردال طريقته المركبة في تحليل واقتراح الســياســات للســويد، والولايات المتحدة، وأوروبا في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، والبلدان النامية[90].

وكان يبدأ تحليل كل موضـــوع بعرض عميق لتاريخه، ومواقفه، ومؤســـســـات البلد أو الإقليم المعني، محاولاً تعريف العلاقات السـببية بين الوقائع الاجتماعية– وبخاصـة تأثير المتغيرات غير الاقتصـــادية على التطور. وعند تحليل مشـــاكل النمو الســـكاني المتدني، والفقر، في الســـويد أثناء أوائل الثلاثينات، حاول ميردال تحديد العوامل المســـبِّبة للاتجاه المزمن في الهجرة، والتقلبات الدورية في الهجرة، وكيف أن الدورات الاقتصـــادية كانت تنعكس في الهجرة[91].

وكان هدفه لا يقتصـــر على تحديد العلاقات المتبادلة بين حركات العوامل المؤثرة على الهجرة، بل يشـــمل أيضـــاً العلاقات بين تلك العوامل وكل التغيرات الأخرى ذات الطابع الاقتصـــادي والاجتماعي والســـياســـي التي تؤثر على مســـتوى المعيشـــة المتدني للكثير من العائلات الســـويدية. وعند عمل ذلك، أدرك ميردال بأنه لم يكن من الممكن تحليل الهجرة كظاهرة منعزلة، بل كان ينبغي درسـها سويةً مع كل العوامل الأخرى التي تحدد حجم السكان وتركيبه. نظرَ ميردال إلى الســـكان كآلية من الاعتماد المتبادل تؤثر عليها العوامل الثقافية والاقتصـادية والاجتماعية والسـياسـية. وكان من بين اسـتنتاجاته، الاسـتنتاج القائل بأن جذور

[90] - Myrdal, Asian Drama An American Delimma،

[91] - Myrdal with Myrdal, Kris I befolkningsfragan (Stockholm: Bonnier, 1934(أزمة في موضوع السكان)

مشـكلة الفقر تكمن في المواقف والمؤسـسـات السـويدية، وبخاصـة الميل لإلقاء اللوم على الفقراء في بلاء الفقر، والإيمان بأن سـياسـات الحرية الاقتصـادية "لا تعمل شـيئاً ما". وقد خدمتْ هذه المكتشـفات كأسـاس لدفاعه عن الإصـلاحات في حقل التخطيط والمسـاواة التي باتت الأسـاس للاقتصـاد الاجتماعي المسـيطَر عليه ديمقراطياً في السـويد. وقد نجحتْ هذه الإصـلاحات ليس فقط في تصـفية الفقر، بل أن السويد، أيضـاً، أصـبحت إحدى أغنى الدول في العالم في أواخر الثمانينات. (ولو أنها تواجه مشاكل اقتصادية هامة منذ ذلك التاريخ).

وقد طوّرَ ميردال نظريته بعد أن أدرك بأن نظرية التغير الاجتماعي ضـرورية للباحث قبل أن يشـرع بملاحظة الوقائع، وبعد أن أبصـرَ النواقص في النظريات الكلاسـيكية الجديدة كوسـيلة لتحليل المشـاكل التي قرّرَ درسـها. والنظرية، بالنسـبة له، هي رؤيا واسـعة لماهية الوقائع الجوهرية (المفاهيم) والعلاقات السـببية بين الوقائع (نظرية التغير الاجتماعي). وقد عرفّتْ نظريته للتغير الاجتماعي مبدأ التعليل الدائري والتراكمي principle of circular and cumulative causation. وهذه عملية تعليل ديناميكية، أدرك فيها ميردال العلاقات المتبادلة بين كل العوامل الهامة الاقتصـادية وغير الاقتصـادية المنخرطة في عملية التغير الاجتماعي، إضـافة إلى الطبيعة المقفلة للجوانب الدائرية والتراكمية للتغير. ووفقاً لتعابير ميردال، فإن عملية التغير الاجتماعي تتبع من التغيرات في كل العوامل ذات الصـلة، الضـرورية، لتحفيز التعليل الدائري بحيث أن العملية الاجتماعية تميل لأن تصـبح تراكمية، وتسـتجمع السـرعة بمعدل متسـارع في الغالب. أولاً، إن التغير في ظرف داخلي معين endogenous condition سـوف يحفز رد فعل في الظروف الداخلية الثانوية. وهذه التغيرات، بدورها، يُرجَح أن تولد، على المدى الطويل، تغيرات أخرى حينما تخلق العلاقات المتبادلة بين الظروف والتغيرات عملية تعليل تراكمية، في حين أن النظام الاجتماعي يتحرك باستمرار بعيداً عن أي وضع توازني. وقد حاججَ ميردال بأن التغيرات الحاصلة تحفّز التغير الاجتماعي في اتجاه واحد (آثار إيجابية أو "انتشـارية" spread effects ؛ آثار سـلبية أو

"تراجعية" backwash effects)، وأن المكان النهائي لاستقرار النظام لا يَسهُل التنبؤ به. وذلك لأن "معامِّلات الارتباط المتبادل coefficients of interrelation بين كل الظروف في النظام الاجتماعي.. وفترات الإبطاء time lags.. غير معروفة عادةً.. [ولذلك]، فإن معرفتنا بها غير دقيقة تماماً[92].

" يمكن تشخيص الاتجاهات لغرض وضع السياسة، ولكن الدقة في التنبؤات غير متوقعة. إن مسألة ما إذا كان تأثير السياسة يستهل حركة إيجابية أم سلبية يعتمد على ما إذا كان هذا التأثير الأولي له أثر مفضل أو غير مفضل على أي من متغيرات ميردال الأساسية الستة المتعلقة بالتنمية: الإنتاج والدخل، شروط الإنتاج، مستوى الاستهلاك، المواقف من الحياة والعمل، المؤسسات، والسياسة العامة. وقد خصصَ ميردال لكل متغير قيمةً متساوية بحيث أن أي تغير صعوداً أو هبوطاً في متغير ما يسحب بالضرورة المتغير الآخر بنفس الاتجاه.

إن التغيرات الإيجابية في أحد الشروط (كزيادة مستوى الاستهلاك، مثلاً) ستؤدي إلى تغيرات ثانوية، تحّسن بدورها شرطاً آخر (إنتاجية العامل) الذي يساعد، بدوره، على تحقيق إنتاج ودخل أكبر، مما يُكمل الحلقة من خلال المساعدة على تحقيق زيادة أكبر في الاستهلاك، الذي كان هو الشرط الأولي.

كان ميردال مؤمناً بأن نظريته للتعليل الدائري تبرر التدخل الحكومي النشيط لتشجيع التنمية: وقد حاججَ بأن الميل لعدم المساواة هو نتيجة لفعل قوى السوق غير المقيَّدة– وبخاصة حينما كان مستوى التطور الاقتصادي ضئيلاً بحيث أن قسماً من السكان يمكن أن يُوصف على أنه في حالة فقر[93].

[92] - Gunnar Myrdal, What Is Economic Development? Journal of Economic Issues vol. 8 (1974): 729-736

[93] - Gunnar Myrdal, Rich Lands and Poor (New York: Harper& Brothers), 1957.

وكان ميردال يؤيد، بشكل خاص، الإصلاحات التعليمية والمؤسسية، مشيراً إلى أن هذه الإصلاحات ليس فقط تعوق تزايد الفقر، بل من شأنها أيضاً تعزيز إنتاجية المعوزين بحيث أن التنمية في اتجاه إيجابي سوف تعقب ذلك. وبدلاً من اقتراح إصلاحات على غرار وصفات كتب الطبخ، فإن طريقة ميردال كانت تعتمد على تطوير السياسات بصورة متواصلة ومنهجية (كما يلعب المرء الشطرنج) تقوم على مكتشفات تحليل المجتمع أو الإقليم المعني على نحو معمَّق ومركب.

دراسته لوضع الزنوج الامريكين:[94]

جاءت دراسة ميردال عن وضع الزنوج الامريكين بمبادرة من مؤسسة "كارنجي" عام 1937، وأجريت الدراسة الميدانية (1938–1940)، وقد صممت هذه الدراسة لتكون دراسة شاملة عن وضع الزنوج في أمريكا، وكانت كذلك بالفعل.

واختير ميردال وهو عالم متخصص في الاقتصاد الاجتماعي، وله سمعته الدولية ليدير مشروع البحث، لأنه جاء من بلد لا تضم نسبة كبيرة من الزنوج وبلده ليس له تاريخ في التدخل الاستعماري، وقد اصطحب معه من السويد "ريتشارد ستيرنر" وبدء العمل بالتجول طويلا وبشكل مكثف بأرجاء الجنوب (لان في الجنوب يوجد مزارع كبيرة".

ويعد هذا المشروع اكبر مشروع مشترك يقوم به العلماء الاجتماعيون الأمريكيين حتى ذلك التاريخ، بحيث يضم 150 باحث كمستشارين، خبراء، باحثين ومؤلفين...، وتضم قائمة المشاركين نسبة كبيرة من علماء الاجتماع الذين كانوا على قيد الحياة آنذاك، فقد ظهرت ثلاث مجلدات على الجوانب الاجتماعية لوضع الزنوج قبل اكتمال التقرير الرئيسي.

كما ظهرت كتب عديدة اعتمدت على بيانات هذه الدراسة ويتسع مجال هذا البحث ليضم:

---

[94]- تيودور كابلوف، مرجع سابق، ص ص 59- 60.

تاريخ الزنوج وأصـــولهم وتركيبهم والخصـــائص الفيزيقية للســـكان الزنوج واختبارات الذكاء واختبارات الشـخصـية، وعرضـا للبيانات التعداد ونفدها، وتم الاعتماد على الاسـتبيان وتاريخ الحالة النفســـي وتحليل الصـــور النمطية والإيديولوجيات الشـــائعة بين البيض عن الزنوج والجريمة والتعصـــب ودور الزنوج في الصـــناعة والزراعة وقطاع الأعمال الخاص والتعليم والحكومة وتفاوت الأجور والتشريعات المتصلة بالمسائل العرقية وغيرها من الموضوعات".

أسباب مشكلة الزنوج الأمريكيين:[95]

إن الموضـوع الأسـاسـي لكتاب التناقض الأمريكي يبدو في غاية البسـاطة كما يشـير "ميردال" في مقدمة الكتاب التي كتبها في تقرير البحث حيث تقول:

إن مشـكلة الزنوج الأمريكيين هي مشـكلة متأصـلة في قلوب الشـعب الأمريكي، وهنا يكمن أسـاس التوتر بين الاثنيات ويسـتمر الصـراع وهو جوهر هذا البحث، ومع إن الدراسـة تغطي العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بين الجماعات الاثنية فان مكمن المشكلة هو:

-الأزمة الأخلاقية للشعب الأمريكي.

- الصراع العنيف بين الأحكام القيمية (العقيدة الأمريكية).

- الحقد الاقتصادي والاجتماعي.

- التعصب الجماعي ضد أشخاص أو نماذج معينة من الناس.

وبهذا نستنتج أن أسباب مشكلة الزنوج الأمريكيين ينبغي البحث عنها في معتقدات وتصرفات الأغلبية البيضاء لا في معتقدات وتصرفات الأقلية الأقلية السوداء".

الافتراضات التي توصل إليها غونار ميردال من خلال الدراسة:[96]

---

[95]- **محمد الجوهري، علم الاجتماع التطبيقي، مرجع سابق، ص161.**
[96]- **نفس المرجع السابق، ص 162.**

–استمرار هجرة الزنوج الجنوبيين إلى المناطق الشمالية.

– لاحظت الدور الهام الذي يقوم به رجال الشرطة البيض في أحياء الزنوج.

– كشفت عن المشاعر العدوانية المكبوتة التي عبر عنها المنادون بالقومية السوداء.

– القاسم المشترك في المشكلة العرقية هو رفض الأمريكيين البيض الاندماج مع السكان السود.

– الاعتماد على إجراءات الفصل العنصري من اجل الحيلولة دون قيام علاقات وثيقة معهم واسماه "ميردال" بالنظام التراتبي.

النظام التراتبي ومبدأ التصاعد والتراكم

1.مفهوم النظام التراتبي:[97]

هو نظام للتمييز العنصري عند الرجل الأبيض المضاد للنظام التراتبي للتمييز العنصري عند السود، ويتميز النظام التراتبي عند البيض على:

*تحريم الزواج.

*الاتصال الجنسي بين الرجل الزنجي والمرأة البيضاء.

*وضع حواجز أمام قيام علاقات اجتماعية وثيقة.

*الفصل في الأماكن العامة.

*الحرمان من حق التصويت الانتخابي والمعاملة المتحيزة من جانب المؤسسات العامة.

*التمييز الاقتصادي".

[97]- المرجع السابق، ص163.

2.**مبدأ التصاعد والتراكم:**[98]

يعد بمثابة الآلية التي تبقي الزنوج في فقرهم، ويرى "ميردال" أن تعصـــب البيض وتحيزهم يحافظ على إبقاء الزنوج في وضــع متدني من حيث مســتويات المعيشــة، الصــحة، التعليم، الآداب الاجتماعية، والعادات الأخلاقية، وهذا الوضـــع المتدني الذي يوجد فيه الزنوج يدعم بدوره تعصـب البيض ضـدهم، وعليه فان جميع عوامل الحرمان متداخلة ومتشـابكة، غير أن ميردال وصف لنا الوضع الاقتصادي للزنوج الأمريكيين بأنه وضع مرضي من حيث:

*يمتلكون ممتلكات محدودة.

* المعدات المنزلية غير كافية.

* دخلهم منخفض وغير منتظم.

* ترتفع البطالة بين الزنوج بنسبة أعلى بكثير بالنسبة لمعدلها في المجتمع.

هنا دعا "غونار ميردال" إلى تحسـين ظروف الزنوج الاقتصــادية بالاسـتناد إلى مراكز اتخاذ القرار ليتمكن من الاندماج في المجتمع والثقافة الأمريكية".

98 - domenico loxsurdo, il révisionis mostrico, problemi emiti, laterja, Bari, 1996, p258.

الدرس السابع:

سابعا: هوارد بيكر "الغرباء"

"ظهرت نظرية الوصـــم الاجتماعي في الخمســينات من القرن الماضـــي كتفســير للســلوك الانحرافي على يد عالم الاجتماع الأمريكي أدوين ليمرت، فمن خلال زيارته لمنطقة ألاســـكا لاحظ ليمرت أن أطفال بعض القبائل دون بعضــهما يحدون صــعوبة في مخارج الحروف أو ما يســـمى بالتأتأة وبعد إجراء عدة أبحاث تبين له أن الأطفال ذوي التأتأة ينحدرون بدون استثناء من القبائل التي تحرص على النطق الفصيح وتعتبره معيارا لتصنيف المنتمين إليها، فخلصها إلى أن الخوف من الوصم بكونهم ليسوا فصحيين أدى إلى تكون التأتأة في كلامهم. إذن نظرة المجتمع الذي يعيشون فيه هي المسؤولة عن ما يمكن تسميته بالسلوك غير القومي أو الانحرافي بالنســبة إليهم. غير أن معالم الوصــم الاجتماعي لم تبرز كنظرية قائمة الذات إلا في الســبعينات وتحديدا ابتداء من ســنة 1970 مع هوارد بيكر من خلال مقاله الشــهير الغرباء"[99].

نبذة عن هوارد بيكر (1925– 2014):[100]

هوارد بيكر عالم اجتماع أمريكي ولد في 18 ابريل 1928 في شـيكاغو، بعد أن كان أسـتاذ في جامعة نورث وسترن وجامعة واشنطن في سياتل.

وهو سـياســي ومحامي ودبلوماســي من الولايات المتحدة الأمريكية وسـفير الولايات المتحدة الأمريكية في اليابان.

[99] - voir donald r. cressey, criminologie research and the definition of crimes, american journal of sociology L V I, may 1951, p 546- 551.

[100] - howard becker, recconnait egalement que la distinction entre phénomenes (fonctionnels), european journal of sociology, II, 1961, p 170- 179.

كما تولى منصب رئيس موظفي البيت الأبيض وهو عضو في الحزب الجمهوري.

تعريف الوصم:

"يعرف الوصـــم بكونه عملية اجتماعية تحدد مدى تأثر هوية الشـــخص بنظرة المجتمع إليه اعتمادا على معيار فعلي أو جسدي فعندما يرصد فرد يخالف القواعد العامة لمجتمعه بشكل أو بأخر وذلك نتيجة لاختلاف في خاصية من خصائصه الجسمية أو العقلية أو الحسية أو الاجتماعية أو الأخلاقية سواء كانت فطرية أو مكتسبة، يجعل منه عرضة للوصم من قبل المشاهد المجتمعي مما يولد لديه الشعور بالرفض والاغتراب في وسط يفترض ب هان يكون منه واليه، فيفقده ذلك منزلته الاجتماعية الأصـــلية ويكتســـب منزلة اجتماعية جديدة ويهيج بذلك من الأفراد الموصومين فيوضع في نظره في خانة الآخرين أو الغرباء، متخيلا في ذهنه بأنه انتقل فعلا من منزلة لأخرى، ولكن في حقيقة الأمر إن كل ما وقع له من تغير في صـــورته الذاتية. هذه هي الفكرة التي حاول بيكر إبرازها أي أن المجتمع هو الذي يخلق الانقسام والتصدع داخله برفضه وعدم تقبله ولو على اختلاف الأفراد المنتمين إليه"[101].

"وهو إطلاق أو إلصاق اختلاف غير مرغوب فيه للفرد من جانب الآخرين، يحرمه من التقبل الاجتماعي أو تأييد المجتمع له، لأنه شخص مختلف عن بقية الأشخاص في المجتمع، وهذا الاختلاف يخص خاصية جسمية أو عقلية أو نفسية أو اجتماعية تجعله مغتربا عن المجتمع الذي يعيش فيه نظرا لحالة الرفض التي يعاني منها والتي تؤدي به إلى الشعور بعدم التوازن النفســـي والاجتماعي، ويعرف بيكر الوصـــم بأنه عملية اجتماعية تحدد مدى تأثر هوية الشـخص بنظرة المجتمع إليه، اعتمادا على معيار فعلي أو جسـدي، فعند اختلاف الفرد في خاصية من خصائصه الجسمية أو العقلية أو الحسية فيجعل منه عرضة للوصم من قبل المشاهد المجتمعي"[102]

[101] - bronislair malinowski, crime and custon in savage society (new york, humanities press, 1926), p77-80.

[102]- محمد محمد شفيق، علم النفس الاجتماعي، ط1، القاهرة، 2000، ص49.

نظرية الوصمة (هوارد بيكر):

ولعل أفضــل من يمثل هذه النظرة " هوارد بيكر Beckerr. Howard S " حيث يعرض أرائه في كتابة المعنون) Outsiders : Studies in the Sociology of Deviance (1973) ، ويذهب بيكر إلي أن الجماعات الاجتماعية هي التي تضـــع القواعد والمعايير التي يمثل الخروج عليها انحرافا, ويوصم منتهكيها بالخارجين. فالانحراف ليس صفة لسلوك يرتكبه شخص ما , بقدر ما هو نتاج لقيام آخرين بتطبيق قواعد معينة وجزاءات محددة علي شـــخص " مذنب " أن ذلك يعني أن المنحرف هو ذلك الشـــخص الذي طبقت علية هذه التسمية , بينما السلوك الانحرافي هو ذلك السلوك الذي أطلق علية الأفراد تلك الصفة [103].

ولقد فحص بيكر الدور الذي يلعب مقاولوا الأخلاق Moral Entrepeneurrs والذي يتلخص في صـــنع القواعد وكيفية فرضـــها بالقوة علي المجتمع , أي من يحددون أنماط الســـلوك غير المرغوب , وتطبيق العمليات الاجتماعية المترتبة علية , يدخل في تلك الفئة الشرعية (يعني أعضاء الهيئات التشريعية) والأطباء النفسيين , والصحفيين، والوعاظ، ونواب العموم والمحامين ... الخ[104]).

وفي مقالة بعنوان (1967 ([105] Whose side Are We On ? يؤكد بيكر علي ضرورة قبول الأوضاع العامة والمعاني الأخلاقية التي ينادي بها الصفوة ويحذر من الانسياق – علي نحو ما يفعل بعض علماء الاجتماع – وراء الأحكام القيمة أو اختزال أو تجزئة المشكلات الاجتماعية علي نحو ضيق[106].

وعلي الرغم من أن نموذج الوصم الاجتماعي , وقد نجح في لفت الانتباه إلي مثل هذه الآراء والتصورات المتصلة بفهم وتحليل المشكلات الاجتماعية علي أساس الدراسة

---

[103] - Howards S . Becker . Outsiders : 1973, studies in The sociology of Deviance New york Free Press . P 99.
[104] - Jerome Manize : Analyzing social problem of cit , P. 15.
[105] - OP . cit . 16.
[106] - Martin S . Wenberg and Earl Rubington , The Solution of Social Problem , OP . cit , p 245.

العملية لأنماط الانحراف , والعمليات الأساسية التي يتضح علي ضوئها التنظيم الاجتماعي للمنحرفين , إلا أن النموذج قد وقع في بعض المثالب , التي واجهه بسببها كثير من الانتقادات التي وجهها إليها بعض نقاده ومعارضيه , فمن قال بأن أصحاب نظرية الوصم , وإن كانوا قد أثاروا بعض التساؤلات حول أساس الوصم ونتائجه , إلا أنهم لم يقدموا أية مستويات أو معايير بديلة لتعيل أو تحسين الأحكام المجتمعية بشأن إطلاق التسميات علي مرتكبي الأفعال المنحرفة , ومن جانب آخر , فقد أكد نموذج الوصم أن هذا النموذج يميل إلي تجاهل الضرر الفعلي الذي تحدثه أشكال معينة من الانحراف وأن التركيز علي تأثير وصمة العار قد جعل الدراسة الاجتماعية لضحايا الظلم والاضطهاد Sociology of Underdog تعفي المنحرف عن مسئوليته عن فعلة[107]، وأن النظرة إلي المنحرف كضحية أنما تلق باللوم والمسئولية علي المجتمع وجماعاته المهيمنة[108]، وثمة نقد آخر مؤداه أن نموذج الوصم , قد بالغ في تبسيط أسباب الانحراف . حيث يذهب بعض أنصاره إلي القول بأن إطلاق الصفات (مريض عقلي – مجرم ... الخ , مثلا) هي الأسباب الرئيسية للانحراف[109]. وفي الوقت الذي يجمع فيه , النقاد , علي أن أسباب الانحراف الأولي لا تكمن في عملية الوصم ذاتها وإنما في مجموعة أخري متنوعة من الحالات مثل الصراع والفقر مثلا[110]

وفي معرض تحليل هذا الجانب من الانتقادات الموجهة إلي أنصار هذا النموذج , تؤكد (شادية قناوي) بأنهم أي (الأنصار) لم يحاولوا الإجابة عن بعض التساؤلات مثل لماذا يستمر هذا الوضع غير العادل الذي يحتم وجود واستمرار عملية التسمية بين الفرد مقترف السلوك المنحرف ومجموعة الأفراد الذين يسمون سلوكه بالانحراف؟ وما

---

[107] - Schur , Edwin M , Harper & 1971, Labeling Deviant behavior New york: نقلا عن جيروم ج . مأنيس تحليل المشكلات الاجتماعية (الترجمة العربية) . مصدر سابق ص 59 – 60

[108]- المرجع السابق، ص60.

[109] - Schur , Thomes , Being Meutally ill . Chicego : Aldine , 1966 : نقلا عن جيروم ج . مأنيس تحليل المشكلات الاجتماعية , مصدر سابق ص 60

[110] - Waller R Gove , social Reaction as an Explanation of Mental IIness : an Evaluation American Sociological Review 35 (October 1970) PP. 873 – 844.

هي طبيعة التكوين الاجتماعي – الاقتصـادي التي تحتم شـروطه المجتمعية انتشـار الجريمة (الانحراف) بين الأغلبية العظمي من أبناء الطبقات الدنيا[111].

والحقيقة أن بعض أنصار هذا النموذج يذهبون إلي أن البناء الاجتماعي – الاقتصادي للمجتمع الحديث، هو بناء غاية في التعقيد، لا يتيح لكل أفراده المسـاهمة في وضـع قواعده وأداء معايير . فالمجتمع الحديث ملئ بالعديد من الجماعات الاجتماعية ذات العادات والتقاليد والثقافات المختلفة فضـلا عن تباين المصـالح والأهداف. الأمر الذي يترتب عليه أن مسـألة اعتراض بعض الجماعات الاجتماعية علي ما يسـود المجتمع من قواعـد ومعـايير أو قوانين إنمـا يعـد أمرا طبيعيـا، بـاعتبـاره – فيمـا يقرر هوارد بيكر Becker . H نتاجا عمليا لتفاعل الجماعات الاجتماعية بقيمتها الاجتماعية المختلفة. ومن ثم فإن عملية الاختلاف مع – أو الاعتراض علي – هذه المعايير، لا يجب بأي حال من الأحوال أن تحول الباحثين عن هدفهم الأسـاسـي وهو الوصـف الدقيق للواقع الراهن، والكشف عن أسباب الظواهر الموجودة به والمشكلات الاجتماعية المنبثقة عنها، وهو أمر لم يسعى له أنصار هذا النموذج على نحو دقيق، ولم تكشف تحليلاتهم عن وعي كبير بأهمية البحث في العلاقات السـببية المتصـلة بظهور المشكلات الاجتماعية.

وعلي أية حال فأن ما نود الإشارة إلية هنا، أن اعتماد نموذج التسمية علي خاصية رد الفعل لتحديد أنماط السلوك باعتبارها مقبولة أو مرفوضـة أو انحرافيه أو سوية، يعني أن الانحراف كصـفة خارجة عن الفاعل أو الفعل، لا يتم إلا في إطار ما يخلقه رد الفعل الاجتماعي من اسـتجابات تؤكد وجود الانحراف أو تنفيه. وعلي الرغم من تأكيد أنصـار هذا النموذج علي أن الأفعال تتحدد باعتبارها انحرافيه، بواسـطة خاصـية (رد الفعل) نحوها، إلا أنها لم تفسر نوع الاستجابات التي تحدد الأفعال الانحرافية أو نماذج ردود الأفعال المجتمعية التي يقوم بهذه الوظيفة. كما يري منتقدي هذا النموذج أنه بتركيزه علي ممارسـات مؤسـسـية , يضـيق من المصـادر العريضـة للمشـكلات

---

[111]- شادية قناوي : سوسيولوجية المشكلات الاجتماعية وأزمة علم الاجتماع مصدر سابق و ص 93 – 96.

الاجتماعية، وبتوجيهه الكلي إلي إصـلاح الخلل المؤسـسـي أو (سـوء إدارة) المشـكلات الاجتماعية، الأمر الذي أضعف إسهامه في تطوير رؤية اجتماعية سياسية، يؤكد علي المصادر البنائية للمشكلات الاجتماعية في المجتمع المعاصر[112].

يقدم لنا Howard Becker في مؤلفه " Outsiders " إغناء للتحليل ف"الاختلافات في إرســـاء معايير وتطبيقها على أنـاس آخرين هي في الأســـاس اختلافات في السـلطة/القوة (شـرعية كانت أو متعالية عنها). إن المجموعات الأكثر قدرة على تطبيق معاييرها هي تلك التي يعطيها موقعها الاجتماعي الأســلحة و الســلطة. إن اختلافات السن، الجنس، الطبقة و الأصل الإثني هي كلها مرتبطة باختلافات السلطة[113].

الفعل الانحرافي ذاته:[114]

أن ما يحصل بعد الوصم هو الذي يحدد الانحراف من غيره أي الإشهار في الانحراف من عدمه، ومن ثم يتم الانتقال من المنزلة الاجتماعية الأصلية مكتسبا منزلة اجتماعية جديدة فيصبح بذلك هو ينتمي مع الأفراد الموصومين بنفس سبب وصمه وأما ما دونهم من النـاس فيوضـــعون في نظره في خـانـة الغربـاء، وبـالتـالي يقترب أكثر من الأفراد المسـفتين في نفس الخانة الخاصـة به، يقدر ما يبتعد من الخانة التي هو فيها وما وقع هنا هو تغيير في صورته الذاتية.

وفي هذا يرى بيكر انه من المفضــل أن نرجع في دراســته الســلوك الانحرافي إلى ردة فعل المجتمع اتجاه السلوك أي ينبغي أن ندرس قضية الانحراف من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:

1)ما طبيعة النماذج السلوكية والخصائص الشخصية التي ينظر إليها أبناء المجتمع؟

---

[112] - سالم ساري . مصدر سابق ص 56.

[113] - ROCHE S., cité par MEYRAND R., « Comment devient-on délinquant ? » Article de la rubrique « Le point sur… » in « Comment devient-on délinquant ? », mensuel n°176, novembre 2006

[114]- سامية جابر، الفكر الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1990، ص98.

ردة فعل المجتمع إزاء السلوك الانحرافي:[115]

وبناء على ما سبق فان المجتمع هو الذي يحدد الانحراف وذلك من خلال إقرار بعض القواعد التي يعد انتهاكها انحراف من منظور أبناء ذلك المجتمع، وبهذا فان الانحراف ليس خاصية الفعل الذي يرتكبه الإنسان ولنها مسالة تتعلق بثقافة المجتمع. بمعنى آخر انه خاصية يخلدها المجتمع على سلوك معين في ضوء القيم والمعايير السائدة، إذن الوصم لا يحصل إلا عندما يدرك الشخص انه موصوم من قبل المجتمع بسبب ما تنسب إليه.

"مثال: حين يقضي شخص عقوبة سجنية سواء كان جانبا أو بريئا فان المشاهد المجتمعي يضعه في خانة السوابق مما يخلق لديه عدة عراقيل في إعادة إدماجه إلى المجتمع، كإيجاد وظيفة أخرى اكتراء منزل فينتهي به الأمر مرتكبا لجناية أخرى تعيده إلى السجن.

لان وصم شخص ما بصفة الانحراف يعني أن هذا الفرد والجماعة المحيطة به ينبغي أن يكيفوا أنفسهم على التفاعل ما على اعتبار إن هذا الشخص ذو شخصية قاسية وغير سوية وذلك يؤدي إلى عملية الوصم وبالتالي يؤدي إلى إعادة تقويم هويته العامة عن طريق الآخرين ثم يتعاملون معه على أساس هذا التقييم وتقتصر أثار هذا الوصم الشخص فقط، ويؤكد إن المواقف السلبية اتجاه المنحرفين من قبل أفراد المجتمع والمؤسسات الوصمية وما ينتج عنها من عزلة ورفض تؤدي بهم لاستخدام أساليب ووسائل غير مشروعة في حياتهم ومن ثم يلجئون إلى امتهان الانحراف للخروج من أزمة العزلة الاجتماعية"[116].

إن اتجاه كثير من الموصومين والمرفوضين اجتماعيا إلى محاولة الانخراط في الجماعات الإجرامية الاحترافية والمنظمة باعتبارها الوسيلة الوحيدة التي يجدون من خلالها مخرجا للرفض الاجتماعي لهم مبرر لاستمرارهم في النشاط الإجرامي الذي

---

[115]- نفس المرجع السابق، ص99.
[116]- سامية جابر، مرجع سابق، ص98.

يمثل مخرجا للحياة والمعيشة التي فقدوها في الحياة الشرعية نتيجة للرفض الاجتماعي من خلال إطلاق المسميات والنعوت الغير مرغوب فيها"[117].

أهم المعتقدات التي جاء بها هوارد بيكر:

"الوصم إذن لا يحدث إلا عندما يدرك الشخص انه موصوم من قبل المجتمع بسبب ما ينسب إليه، فمثلا حين يقضي شخص ما عقوبة السجن سواء كان جانبا أمر بريء فان المشاهد المجتمعي يضعه في خانة السوابق مما يخلق لديه عدة عراقيل في إعادة إدماجه في المجتمع كإيجاد وظيفة أو عمل أو حتى مسكن مما لا يترك له مجالا يندمج فيه غير الوسط السجني فينتهي به الأمر مرتكبا لجنحة أو جناية أخرى تعيده إلى السجن، فالمجتمع المحيط يهتم بشكل سلبي بالفعل أو السلوك المنحرف إن صح القول أولا ثم ينتقل هذا الوصم من الفعل إلى صاحب الفعل بنفسه، فمهما كانت الأسباب التي دفعت هذا الشخص إلى ارتكاب الفعل المنحرف في بادئ الأمر فان سبب تكريره لنفس السلوك الانحرافي هم عدم تقبل وتأييد المجتمع له من خلال إطلاق المسميات والنعوت الغير مرغوب فيها"[118].

"وبناء على ذلك يوضح هوارد بيكر أن الانحراف ينشئه ويخلقه المجتمع، وهو لا يعني المفهوم العام الذي يشير إلى إن أسباب الانحراف تنبع من الواقع الاجتماعي للمنحرف أو من المتغيرات الاجتماعية التي تدفعه إلى الانحراف وإنما بمعنى أن الجماعات تساعد على خلق الانحراف بوضعها القواعد التي تمثل الخروج عنها انحرافا وتطبيقيا لهذه القواعد الاجتماعية ضد بعض الأشخاص، ومن ثم وهمهم بالفاجرين عن القواعد الاجتماعية ووفقا لذلك يصبح تعريف الانحراف لا علاقة له بواقع أو خصائص الفعل الذي يخالفه الفرد، وإنما هو إنتاج مباشر لما قد يترتب على تطبيق القواعد الجزئية ضد المخالف من أثار سلبية ومن ثم فالمنحرف هو الشخص الذي يتم إلحاق الوصمة

---

[117]- محمد محمد شفيق، مرجع سابق، ص51.

[118] - robert k, merton. (social problems and social theory), brace and world inc, 1961, p 697- 737.

به، أو الســـلوك الذي يوصـــم الفرد به من قبل الجماعة أو المجتمع، إذن فالمجتمعات هي التي تحدد الانحراف بإقرار بعض القواعد التي يعد انتهاكها انحرافا"[119].

[119] - **american sociology review, v (february, 1940), p 11-12.**

الدرس الثامن:

ثامنا: الجندي الأمريكي لصموئيل ستوفر

نبذة تاريخية عن أعمال الجندي الأمريكي صمويل ستوفر:[120]

بعد الهجوم الياباني على بيرل هارثور بفترة قصـيرة تم تعيين عالم الاجتماع المشـهور صموئيل ستوفر مديرا مدنيا لفرع البحوث المنشأ حديثا.

والذي أصـبح فيما بعد إثارة المعلومات والتعليم بالقوات المسـلحة الأمريكية، ورأس هذه الإدارة الجنرال فريديريك اوسـيورن، وهو رجل أعمال سـابق وعالم اجتماع أيضـا، وقد انشـأ فرع البحوث، كما يقول سـتوفر للقيام بمهام هندسـية اجتماعية وليسـت مهاما علمية، وكانت وظيفية هي إجراء مسـوح الاتجاهات بين الجنود عندما تشـعر الإدارات العليا بمشـكلات تحتاج إلى معلومات شـاملة ذات طبيعة مسـحية، فقد طلبت تلك الإدارات على سـبيل المثال تحليل العوامل التي حطت الجنود في مسـرح العمليات بجنوب المحيط الهادي ينفرون من استخدام عقار الأثيرين للوقاية من الملاريا والكشف عن أي نوع من نوعي الأكواخ الذي يفضـله الجنود في ألاسـكا، ودراسـة حالة مغاسـل الملايين في انتماء واتجاهات الجنود نحو الصينيين في مسرح العمليات بالهند وبورما.

ويعد كثير من هذه الموضـوعات تافها، غير أن بعضـا منها له أهمية واضـحة، فقد قام فرع البحوث على سـبيل المثال بتصـميم نظام النقط الذي اسـتخدم في تحديد الأولويات لتشغيل الجنود عند تسريح القوات المسلحة مع نهاية الحرب.

كما أن دراسات هذا الفرع وفرت المعلومات اللازمة للتشريع الخاص بمساعدة المحاربين للتعليم العالي.

---

[120]- محمد الجوهري، مرجع سابق، ص181.

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية قام فرع البحوث بمقابلة ما يزيد 500 ألف شـــخص بالاســـتعانة بأكثر من 200 اســـتبيان مختلف وقام بإعداد عدة مئات من التقارير عن نتائجه لأغراض عســـكرية متعددة، ومع ذلك لم تســـتغل مطلقا القيمة العملية لهذه البيانـات الغزيرة، وقد عهد بهذه المهمـة إلى لجنـة خـاصـــــة بمجلس بحوث العلوم الاجتماعية برئاسة الجنرال اوسبورون".

"ونفذت تحت إشـراف البروفيسـور سـتوفر بمنحة من مؤسـسـة كارتيجي في السـنوات الخمس التي أعقبت الحرب، وهكذا تحول فرع البحوث في ظل نفس القيادة إلى فريق بحث علمي برعاية مدنية، وقد نشـرت النتائج في أربع مجلدات تحت عنوان "دراسـات في علم النفس الاجتماعي في الحرب العالمية الثانية"[121].

مجلدات الجندي الأمريكي:[122]

"والتي اشـتهرت باسـم الجندي الأمريكي من عنوان المجلد الأولين، وكان هذا المشـروع على غرار مشـروع ميردال، تعاونيا على أوسـع نطاق إذ وصـلت قائمة الأشـخاص العلميين والإداريين إلى 134 اســما، وتبرز صــفحات العناوين في المجلدات الأربعة أسماء خمسـة عشـر مؤلفا رئيسـيا، ولم يصـارع أي بحث اجتماعيا بعد ذلك هذا البحث في مجاله.

وعلى الرغم من أعمال كتاب الجندي الأمريكي على علوم عديدة خاصـــة علم النفس وعلم النفس الاجتماعي، فانه بعد ســوســيولوجيا في منهجه (مســوح الاتجاهات وفي طبيعة نتائجه، كما أن معظم التفسيرات والتحليلية التي ساعدت على نشر هذا الكتاب، وركزت على المضامين السوسيولوجية للبيانات لا على أهميتها النفسية أو التاريخية أو الإدارية.

[121] - vol I samuel A , stouffer et al, the american soletier, adjustement dulrbing army life, princetion, N , j , princetion university press, 1949.

[122]- محمد الجوهري، مرجع سابق، ص 183.

ويختص المجلد الأول من التقرير بالتكيف الشـــخصـــي للجنود خاصـــة جموع الجنود المدنيين الذين خدموا في الجيش بصفة مؤقتة أثناء الحرب العالمية الثانية ويهتم الجنود الثاني بالمشكلات المتعلقة بالحرب وما بعدها.

ويبحث المجلد الثالث رد فعل جمهور المشاهد بين العسكريين للأفلام التوجيهية وغيرها من المواد الدعائية، ويعد هذا المجلد عن موضـــوع بقية الكتاب إلى حد ما، ويتضـــمن المجلد الرابع معالجة دقيقة لنظرية قياس الاتجاهات وتطبيقها، ومناقشـــة لثلاثة مناهج دقيقة لتحليل بيانات المســـح، وهي تحليل المقاييس، وتحليل البناء الكامن واســـتخدام استجابات المسح لأغراض تنبؤية.

وتتميز موضـــوعات المجلدات الأربعة بالغزارة والارتباط الوثيق لدرجة أن التفســـيرات اللاحقة ســـارت على طريقة الرجل الهندوســـي الأعمى الذي وصـــف احد الأفيال بأنه يشـبه الحائط، أو الشـجرة، أو المروحة أو الثعبان حسـب الجزء الذي يلمسـه من جسـم الفيل، ولذلك يذهب ادوارد شـــيلز في مقالته الشـــهيرة إلى أن الروح المعنوية للجندي المقاتل تعتمد بصـفة أسـاسـية على روابط جماعته الأولية في الجيش، وان هذه الروابط تقلل من اعتماد الروح المعنوية للجندي المقاتل على الصـــلاة التي تعد أكثر أهمية من رفقة السلاح".

تأثير الحرمان النسبي والمطلق على الزنوج في كلتا المعسكرات:[123]

لقد أكد عدد من البارعين على نحو مماثل على تأثير الحرمان النســبي فقد لوحظ على سبيل المثال أن الزنوج في المعسكرات الشمالية كانوا أسوء تكيفا بصفة عامة من الزنوج في المعســكرات الجنوبية، لان أســاس المقارنة عند الجندي في الجنوب والشــمال على حد سواء كان وضـع الشـخص المدني وان وضـع الشـخص الزنجي المدني في الجنوب كان بمثابة معادل "للمعاملة السيئة للزنوج في المعسكرات الجنوبية" وقد أدى هذا التأكيد إلى تحويل الاهتمام عن بعض النتائج الهامة حول الحرمان المطلق، ومنها أيضـــا

[123]- محمد الجوهري، مرجع سابق، ص184.

الاكتشـــاف الذي مؤداه أن الوحدات العســـكرية تبدأ في التفكك عندما تتعرض للقتال ا ولاية صورة أخرى من صور المعاناة لفترات طويلة.

كما أدى تأكيد المعدلين على تأثير الدور والمكانة في تعديل الاتجاهات (بمعنى أن الاختلافات في الدور والمكانة لا تؤدي فحسب إلى الاختلافات في الاتجاه، وإنما تؤدي أيضا إلى الخطأ في حكم الجماعة إلى جماعة أخرى).

أدى إلى إغفال نتيجة هامة هي أن العيش وقت الحرب يعمه الاســـتياء من ســـوء استخدام الامتيازات المرئية، وان هذا الشعور له أثار عكسية شديدة على الروح المعنوية باستثناء القوات الجوية التي تسودها ظروف مختلفة".

أهداف كتاب الجندي الأمريكي:[124]

ربما يعد كتاب الجندي الأمريكي بمثابة إنقاذ شـــديد لواحد من اكبر التنظيمات التي عرفها المجتمع الحديث والذي أعده أفراد من داخل التنظيم نفسه وعلى عكس الدراسات المبكرة للمجتمع المحلي والدراســات الحديثة للأنســاق التنظيمية التي توصــلت إلى أن معظم الناس راضون عن الأنساق الاجتماعية التي وجدوا أنفسهم فيها.

وكشـفت بيانات الجندي الأمريكي عن حالة ملحوظة لملايين الرجال المشـغولين بنظام شـــديد من اجل مثل اجتماعية مطلقة في الوقت الذي لا يوجد فيه التزام حقيقي بهذه القضـية بين إعداد ضـخمة منهم، ولا توجد لديهم ثقة في قادتهم، ولا يوجد لديهم شـيء سوى اختيار المعايير التي تنظم حياتهم، وهناك ثلاثة من كل خمسة مقاتلين خدموا في معارك ما وراء البحار كانت لديهم شـكوك حول مشـروعية الحرب عام 1945، وكان الجيش الأمريكي في الحرب العالمية الثانية يتكون في معظمه من رجال جندوا بهدف كسب حرب ظلت أهدافها الإيديولوجية غامضة بعض الشيء".

[124]- المرجع السابق، ص185.

"وتبدو الاختلافات في التأثير أكثر وضـــوحا عندما يؤخذ في الاعتبار للآراء المســبقة (التي تكونت قبل التجربة) والمستوى التعليمي.

فعلى ســـبيل المثال أدى البرنامج ذو الموقفين إلى إقناع 44 % من الجنود الأكثر تعليما (الذين كانوا يعارضون الموقف الرسمي في البداية).

بالاتجاه المرغوب فيه كما احدث نفس البرنامج تأثيرا عكسـيا صـافيا بين الجنود الأقل تعليما الذين كانوا في صف الموقف الرسمي منذ البداية.

وقد أجريت هذه التجارب بدون تحفظ على أمل تعليم السـلطات العسـكرية كيفية التأثير في أراء وعواطف ضباط الصف والجنود.

وقد انشـــيء فرع البحوث كما أشـــار ســـتوفر إلى ذلك مرارا وتكرارا، بغرض الهندســـة الاجتماعية باعتبارها سـلاحا في يد الإدارة العسكرية، وكان الالتزام الصـادق من جانب الباحثين بالجهود الحربية هو الذي ســـاعدهم في تعقيد الأهداف الإدارية للقيادة العليا دون تردد، وعند اكتشـاف خلل في نسـق الإدارة العسـكرية وكان الالتزام الصـادق من جانب الباحثين بالجهود الحربية هو الذي ســـاعدهم في تعقيد الأهداف الإدارية للقيادة العليا دون تردد، تتم معالجته على انه مشكلات معنوية، ولم يهتم فرع البحوث بإمكانية إصلاح النسق العسكري بالطرق المناسبة.

لان ذلك لم يدخل ضمن اختصاصات القادة الذين كان فرع البحوث يحاول مساعدتهم ولم تكن الإصلاحات التي تمت بفضل النتائج البحثية ذات تأثير يذكر.

وقد عولجت شـــكوى جنود المشـــاة بأنهم لا يعاملون نفس معاملة الجنود في الفروع الأخرى من خلال منحهم شـارة الشـرف، واقترح الباحثون إجراءات جديدة للأخذ بها في فترة السلام بعد الكشف عن سوء استخدام الأنساق العسكرية للسلطة من خلال القنوات السرية للمفتش العام".

التجارب على المجموعات الصغيرة:[125]

ويوضـح المجلد الثالث دون إشـارة مقصـودة كيفية ظهور هذا الوضـع وأسـباب عدم المقدرة على معالجته، ويتعلق معظم التجريب في هذا المجلد برد فعل الجنود نحو سلسلة أفلام رائعة بعنوان: "لماذا تقاتل" والتي تعيد إلى الأذهان الأحداث التي أفضت إلى الحرب كما لو كان الجنود الذين يشـاهدون تلك الأفلام لم يسـمعوا مطلقا عن هذه الأحداث أو ليست لديهم آراء بشأنها وقت حدوثها، وهذا يفسر أسباب قبول مغزى هذه الأفلام بين المشاهدين العسكريين وتأثيرها المحدود على اتجاهاتهم نحو الحرب.

وهناك تجارب أخرى في الاتصـال تتعلق بالدعاية، وهي تجارب نظرية وبسـيطة فعلى سـبيل المثال تم إعداد نوعيين من البرامج الإذاعية بعد انتهاء الحرب في أوروبا لإقناع الجنود بأنه لا يوجد مبرر وراء تفاؤلهم كان له ما يبرره، وكانت القضـية المثارة هي ما إذا كان البرنامج الإذاعي الذي يقدم المزاعم وراء الموقف الرسـمي (المتشـائم) أكثر إقناعا من البرنامج الإذاعي الذي يقدم المزاعم وراء الموقفين التفاؤلي والتشـاؤمي في محاولة للتنفيذ المزاعم المعارضـة للموقف الرسـمي، وكان تأثير هذين البرنامجين متعادلا في بداية الأمر، فقد تغيرت أراء ما يقرب من نصـف المشـاهدين في كلتا الحالتين إلى الاتجاه المرغوب فيه، غير انه بدأت اختلافات حادة في تأثير البرنامجين الذي استعرضت الموقفين التفاؤلي والتشاؤمي أكثر إقناعا لمن كانوا يعارضون الموقف الرسمي منذ البداية، واقل إقناعا وكان البرنامج الذي عرض لوجهة نظر واحد لمن كانوا في صـف الموقف الرسـمي وكان البرنامج ذو الموقف الواحد أكثر تأثير في الجنود خريجي المدارس العليا والجامعات".

نقد كتاب الجندي الأمريكي:[126]

"وقد وجهت انتقادات جادة إلى وجهة النظر الواحدة بعد طبع التقرير، غير أن أصحاب هذه الانتقادات لم يحاولوا الاسـتفادة من البيانات الغزيرة التي وردت في كتاب الجندي

---

[125]- ستوفر وزملاؤه، دراسات في علم النفس الاجتماعي في الحرب العالمية الثانية، المجلد الاول، ص44.
[126]- محمد الجوهري، مرجع سابق، ص188.

الأمريكي لتطوير برنامج منظم لإصـلاح المؤسـسـات العسـكرية، وكانت الإصـلاحات الرئيســـية التي تمت في الجيش بعد الحرب العالمية الثانية مجرد إصـــلاحات داخلية متعلقة بتحقيق العدالة العســـكرية أو دعمها، وهو الموضـــوع الذي لم يعالجه كتاب الجندي الأمريكي".

الدرس التاسع:

تاسعا: ثقافة الفقر لأوسكار لويس

"منذ أول السبعينات وطيلة الثمانينات من القرن الماضي انتعشت خصوصا مع الخطاب السياسي آنذاك الآراء التي ترجع فقر الأفراد إلى أنفسهم وتحملهم مسؤولية عن أوضاعهم وعدم أخذهم بالمبادرة، وفي هذا السياق طرح لويس اوسكار وجود "ثقافة الفقر" في أوساط كبيرة من وجود الناس بحيث أن الفقر ليس نتيجة لنواحي القصور والعجز الفردية بل هو نتاج بنيات ثقافية واجتماعية معينة حيث ينشأ الأطفال في هذا الوسط، وقد عرف "لويس" ثقافة الفقر بأنها طريقة لحياة تنتقل من جيل إلى جيل وتزود الأفراد بأسلوب متميز للمعيشة ووصف ثقافة الفقر من خلال خصائص متعددة اقتصادية واجتماعية ونفسية مترابطة، وقد توسع عالم الاجتماع الأمريكي موراي في أطروحة ثقافة الفقر الذي يعتقد أن هناك نوعين من الفقراء، فهناك فئة لا دخل لها في فقرها مثل الأرامل والأيتام والعجزة وهناك طائفة أخرى تنتمي إلى ثقافة الاتكال والتبعية التي يعتمد أفرادها اعتماد شبه كلي على ما تقدمه الحكومة من معونات ومساعدات وبالتالي يعزفون عن سوق العمل"[127].

نظرية ثقافة الفقر:

"تبنى الباحث والأنثروبولوجي الأمريكي المختص، من جامعة شيكاغو، لويس أوسكار مفهوم "ثقافة الفقر" في الستينيات من القرن الماضي باعتبارها طبقة خاصة. وقد استمدّ الفكرة من خلال ملاحظاته العميقة للمجتمعات الفقيرة بأمريكا الوسطى والجنوبية، وبالخصوص في منطقة بورتوريكو بالمكسيك، والتي اتخذها ميداناً لدراساته.

إنّ الدرجة التي يجب أن نعتبر فيها الفقر طبقة اجتماعية مختلفة عن بقية الآخرين موضوع تكرَّرَ باستمرار في عدد من الدراسات النظرية، فقد سبق أن تحدَّث بإسهاب الفيلسوف الألماني الشهير كارل ماركس عن البروليتاريا الرثة في كتاباته التي انتقد

[127]- ابراهيم فلوم، الثقافة وانتاج الديمقراطية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2001، ص65.

فيها النظام الرأسمالي الأوروبي خلال القرن التاسع عشر. كما قام في العشرية ما بين 1950- 1960 الباحث الفرنكفوني لابنس بدراسة المقيمين في التجمعات السكنية الانتقالية في فرنسا، وهم أشخاص فقراء جداً، وفي الأساس يفترض أن يكون إيواؤهم هناك انتقالياً فقط، ولكنّ هؤلاء السكان أقاموا بصورة دائمة، وتزوجوا فيما بينهم، وكانت احتكاكاتهم مع الخارج شبه منعدمة تقريباً، بل وأكثر من ذلك ظهروا كأنهم مستقرون في هذا الوضع منذ عدة أجيال. كان لهؤلاء الأشخاص الأكثر فقراً جميع مميزات الجماعة الحقيقية المنسجمة، مما يجعلنا على صواب في إطلاق وصْف طبقة اجتماعية عليهم"([128]) كان لهذا التحليل وهذه الدراسة المتميزة صدى في الأفكار التي وسَّعها لاحقاً أوسكار لويس السابق الذكر، الذي حلَّل في أبحاثه الشهيرة الحياة الفقيرة بالاستناد إلى ثقافة خاصة بمفهوم الأنثروبولوجيا الثقافية، حيث الفقراء يتقاسمون نظام معتقدات وأنماط سلوك كانوا ينقلونها إلى أولادهم تباعاً بفضل تنشئتهم الاجتماعية الخاصة بهم. وبالطبع فثقافة الفقر هذه كانت متكيفة مع محيطها الخاص، وكانت تسمح لأعضائها بمواجهة صعوبات الحياة اليومية، وهي مثل أية ثقافة أخرى بدون هذا سوف تزول ولا يمكنها الاستمرار في التواجد. هذه الأطروحة حول ثقافة خاصة بالفئات الأكثر فقراً في المجتمعات الصناعية لاقت معارضة قوية في تلك الحقبة من طرف عدد كبير من المختصين في الأنثروبولوجيا الثقافية، لأنّ هذه الفئات كانت، على الأقل، بأمريكا اللاتينية تسهم حقيقة في الثقافة العامة للفئات العمالية، وكان لها أيضاً بالموازاة تواجد بين الطبقات المتوسطة".

"ظل هذا النوع من التضارب في التحليل والآراء حاضراً باستمرار في الإجابات المقترحة لتفسير الحضور الدائم للفقراء بين المجتمعات الوافدة (المهاجرة تحديداً). غير أنّ أطروحة ثقافة الفقر التي اختفت لمدة قصيرة ما لبثت أن عادت ثانية إلى الوجود في حالات عديدة، وبقوة أكبر، وقد تم إسقاطها على غيتوات السود في الولايات المتحدة الأمريكية. كما تم ربطها في حالات أخرى بغياب العمل أو تعذره، والذي يعتبر محدداً رئيساً لهذه الطبقة السفلية داخل المجتمع، وبالنسبة إلى لابنس فإنّ العالم السفلي

[128]- يانيك لوميل، الطبقات الإجتماعية، ترجمة جورجيت الحداد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2008، الطبعة الأولى، ص 26.

المحروم من كل شـــيء في الضـــواحي الفرنســـية ربما كان يتألف من ورثة جزء من البروليتاريا التي أهملت أثناء فترات تطور الثورة الصناعية".

لقد ظهرت مفاهيم أخرى سـابقاً في الدراسـات المختصـة التي اهتمت بمجال المهمش، ومنها مفهوم الغريب، الذي يعني حســب مقالة ألبيون ســيمول، مؤســس قســم علم الاجتماع والأنثربولوجيا بجامعة شيكاغو، من يقيم في المجتمع على الهامش، فلا يدرك آلياته الحميمية ويبقى على نحو ما خارج الجماعة. وقد تناول موضـوع الغريب أيضـاً إي شـوتز في دراسـته عن الغيتو اليهودي. كما تناولته دراسـات كثيرة اهتمت بثقافة الزنوج في أمريكا وعلاقتها بالتهميش الذي طالهم على يد العرق الأبيض، وتبرز في هذا الصدد أطروحات روبرت بارك التي حاولت تفسير أصل مشاعر العداء العرقية في الفوارق الاقتصادية"([129]).

وقد تعمق تلميذه من بعده بوكاردوس الذي نشـــر أطروحته عن الهجرة والمواقف العرقية، والذي يعتبر امتداداً وتعميقاً لأفكار بارك، مع التركيز على العوامل السـوسـيو نفســية، والقلق النفســي، ومختلف أنواع الإحباط والضــغط التي تنتجها حالة الهجرة مثلاً"([130]).

"إنّ النقطة الحيوية في الجدل الذي أُثير بشـــأن مفهوم "ثقافة الفقر" – كما طورها أوسـكار لويس– يتمثل في كون الفقر منتشـراً في كل مكان؛ فهل يتقاسـم هؤلاء الفقراء ثقافة مشتركة تميزهم عن غير الفقراء؟ يُركِّز المؤلف على الفرد في تفسيره للفقر مبتعداً بذلك عن التفسـيرات البنيوية والمؤسـساتية التي تركز على الخصـائص والسـمات الجماعية. لقد أراد أوسـكار – بوصـفه عالم أنثروبولوجيا– فهم الفقر والسـمات المرافقة له باعتباره ثقافة وطريقة حياة تنتقل من جيل إلى جيل عبر مسـارات العائلة؛ فالأطفال

---

[129]- آلان كولون، مدرسة شيكاغو، ترجمة مروان بطش، مجد/ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ، الطبعة الأولى، 2012 ص ص 57، 67، 72، 73

[130]- عبد الرحمن المالكي، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، إفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، 2016، 146

يتشربون عادة القيم والسلوكيات الأساسية لثقافتهم من هؤلاء، مما يجعلهم غير مهيئين نفسياً للاستفادة من الفرص التي تتاح لهم لإحداث تغيير حقيقي في حياتهم مستقبلاً".

"في هذا الإطار تندرج سيرة **أطفال سانشيز** ,**Les enfants de Sanchez**التي كتبها أوسكار لويس"([131])، والتي قدّم فيها نموذجاً لمنهج بيوغرافي في الأنثولوجيا بجميع مؤهلاتها وخصائصها في الرواية العائلية، من خلال سرد حياة أسرة مكسيكية تحت بروليتارية، عاشت في غرفة واحدة بمدينة كازا كراندي .Casa grande وقد سبق له أن قام بدراسة ميدانية عن الهجرة القروية لقبائل الأزتيك في اتجاه مكسيكو، وبالخصوص إلى مدينة كازا كراندي، وخلالها التقى بسانشير وأولاده عن طريق المصادفة؛ فقرَّر بعدها إنجاز دراسة معمقة عن هذه الأسرة، وخصوصاً حين وافق الإخوة كونسويلو وروبرطو ومارطا ومانويل وخيسوس القيام بسرد حياتهم بحضوره. وقد تم له ذلك بعد أن استطاع كسب ثقتهم من خلال علاقة صداقة طويلة جمعته بهم، لدرجة أنّ أوسكار لويس أحس بأنّ له أسرتين: أسرته في الولايات المتحدة الأمريكية، وأسرة سانشيز التي قضى برفقتها مئات من الساعات."

"لقد سرد الرواة من أبناء سانشيز حياتهم كاملة بحضور الباحث لويس أوسكار، وذلك تماشياً مع الأسئلة التي كان يطرحها عليهم هذا الأخير من حين لآخر، وقد كانت مواضيع النقاش متشعبة ومتعددة في آن، فقد تحدثوا عن: (المشاكل والعقد/ الموت/ الخيانة/ العنف/ الانحراف/ الإجرام/ الإحساسات والمشاعر/ القدرة على الفرح/ الرغبة في الفهم والحب/ الأمل في حياة أفضل...الخ). لقد كانت منهجية الاستجواب التي اعتمدها الباحث وسيلة ناجعة للحصول على أكبر قدر من المعلومات. ولذا فإنه يمكننا أن نتحدث من خلال النموذج البحثي الذي اتبعه عن منهج بيوغرافي أو عن منهج تاريخ الحياة، الذي يبتغي إعادة إحياء تجربة الفاعلين، فإذا كانت النصوص تفرد مكاناً واسعاً لأصوات أخرى غير أصوات الباحث يستخرجها من خلال الوثائق والسجلات، فإنّ الأمر هنا مختلف تماماً حيث تعطى الأهمية لأصوات المتحاورين في الحقل

[131] - **Oscar Lewis, *Les enfants de Sanchez, autobiographie d'une famille mexicaine, traduit* de l'anglais par *Céline Zens*, Edition. Gallimard, Paris, 1963.**

مباشرة. ومن الملاحظ في النموذج الذي اتخذناه دليلاً غياب أي وسيط، فالروايات هنا ليست محكية من طرف شخص برجوازي، وإنما هو تحقيق اجتماعي مع أشخاص غير مختصين يحكون عن حياتهم بعفوية وحرية وبساطة، مما أعطى للعمل جانباً كبيراً من الصدقية والصراحة، إذ التصريحات المختلفة التي استقاها شكلت وسيلة تحقق داخلي سمحت له بإنجاز سيرة موضوعية، حيث تعمق بشكل دقيق في دراسة نفسية هؤلاء الأشخاص الذين عاشوا هذا المستوى المدقع من الفقر لمدة طويلة، خاصة وأنّ هذا الموضوع –حسب أوسكار– لم يكن موضوع دراسة جادة لعلماء النفس والأطباء النفسانيين المختصين."

"لقد قدم لويس أوسكار من خلال رواية الحياة الموسومة بـــ "أطفال سانشيز" صورة وطريقة بيوغرافية في الأثنولوجيا أُطلق عليها اســـم "الأثنوبيوغرافيا"، وقد اســـتخلص الأوربيون وغيرهم من خلال هذه الرواية فائدة كبيرة فيما يتعلق بأهمية روايات الحياة الذاتية؛ فالجمهور القارئ يســـتمتع كثيراً بقراءة روايات الحياة التي يمكن عدها جنســـاً هجيناً بين البيوغرافيا والســـيرة الذاتية. وهو ما يفســـر الرواج الكبير الذي حققته أعمال كثيرة مشابهة خلال فترة السبعينات وما بعدها. ويمكن الإشارة هنا بالدرجة الأولى إلى كتاب: **المعرفة والســـلطة في المغرب** لصـــاحبه الأنثروبولوجي الأمريكي، من جامعة دارتموند، ديل ايكلمان، الذي يعتبر المجتمعات المركبة مجتمعات لا يمكن فهم مظاهر واقعها السياسي والاجتماعي إلا عن طريق بيوغرافية الأفراد، وهذا ما نلمسه في عدد من الدراسات الأخرى التي اتبعت المنهج نفسه، حيث قام كل من الصحافي الفرنسي جون لاكوتير وزوجته سيمون برسم صور لكل القوى السياسية والاجتماعية الرئيسة التي عملت في الفترة التي أدت أحداثها إلى اســـتقلال المغرب، وذلك عن طريق الوصف البيوغرافي لأهم الشخصيات الفرنسية والمغربية لتلك الفترة. وقام قبله المؤرخ والسوسيولوجي الشهير جاك بيرك من جهته بالكتابة عن حياة العالم المغربي الحسن اليوســـي الذي عاش في فترة القرن الســـابع عشـــر، وقدمه كنموذج مختلف عن علماء القرويين انتماء ومعرفة وثقافة، وذلك بالنظر إلى جذوره القروية ومواقفه المتمردة تجاه السلطة في عهد المولى إسماعيل. إنه نموذج لعالم من طينة أخرى لم يسلك مسار

علماء فاس الموالين للتقليد، بل إنه من العلماء بالغي الندرة في زمانه بالمغرب، غير أنه ليس بالإمكان مقارنته مع علماء الضفة الشمالية للمتوسط، حيث ساد النقد العقلاني قرنين قبل زمانه"([132]).

"وهو العالم ذاته الذي نجده حاضراً أيضاً وبشكل بارز عند صاحب كتاب **تأويل الثقافات** كليفورد غيرتز عن الإسلام في المغرب وأندونوسيا، والذي أعطى فيه وصفاً دقيقاً للوسط الثقافي والديني خلال فترة حرجة من تاريخ المغرب، وهي فترة تثبيت الدولة العلوية ركائز سلطتها الدينية والسياسية بعد القضاء على خصومها من الدلائيين والسملالين. كما استغل واتربوري، عالم السياسة الأمريكي، حياة تاجر سوسي يعيش في الدار البيضاء ليضرب مثلاً للحساسيات السياسية لجيل بأكمله"([133]).

"وفي السياق نفسه تناولنا في أطروحتنا التي خصصناها للفقيه علي بن محمد السوسي السملالي، مواقف عالم من القرن التاسع عشر، متشبع بالثقافة المدينية بالرغم من جذوره القروية، وجعلناه أحد أهم مفاتيح فهم البنية الثقافية والسياسية لمغرب القرن التاسع عشر، فحياته وكتاباته التي تصنف ضمن دائرة الكتابة الإصلاحية بامتياز تسلط الضوء على بعض الجوانب الخفية من مواقف السلطة من الإصلاح، وعلاقة السلطة بالرعية. كما يُمْكِننا من خلال تتبع سيرة حياته تلمس الفروقات الفردية بين العلماء والكتاب خلال الفترة المدروسة"([134])

"إنّ منهج السيرة الذي تمّ توظيفه في حقول السوسيولوجيا والأثنولوجيا، والذي سُمِّيَ في البداية بالمنهج البولوني (الذي ركز على روايات الحياة) تمّ تطبيقه أول مرّة في العشرينيات من القرن الماضي، وذلك قبل دراسة لويس أوسكار، حيث قام عالما

---

[132]- عادل المساتي، سوسيولوجيا الدولة بالمغرب: إسهام جاك بيرك، تقديم أحمد بوجداد، سلسلة المعرفة الاجتماعية والسياسية، الطبعة الأولى، 2010، ص ص 50، 51.

[133]- ديل إيكلمان، المعرفة والسلطة في المغرب، صور من حياة مثقف من البادية في القرن العشرين، ترجمة محمد أعفيف، ليتوغراف طنجة، طبعة جديدة، 2009، ص 23.

[134]- خالد طحطح، علي بن محمد السوسي السملالي بيوغرافية ثقافية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، نوقشت موسم 2013-2014، ص89.

الاجتماع بمدرسة شيكاغو وليام إسحاق طوماس (1863–1947) وفلوريان ويتولد زنانييكي (1882–1958) بدراسة هامة عن الفلاحين البولونيين المهاجرين إلى أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية. وتتطرق هذه الدراسة التي تم نشرها في خمسة أجزاء لوضعية العمال والفلاحين البولونيين في موطنهم الأصلي، ثم وضعيتهم بعد هجرتهم لأمريكا، من خلال تسليط الضوء على أنماط وأشكال التفاعل والعلاقات التي نسجوها فيما بينهم بعد الهجرة أو تلك التي نسجوها مع غيرهم سواء من المهاجرين الآخرين أو المقيمين، وهذا ما استدعى بالضرورة التطرق إلى موضوع الاندماج أو الانصهار. وكما سبق فقد تمّ اعتماد تقنية "دراسة الحالة" أو "المنهج البيوغرافي" من خلال تدوين قصص وحكايا حياة هؤلاء المهاجرين"([135]).وقد استمرت الاتجاهات البحثية الأنجلوساكسونية من بعدهما في الاعتماد على هذا المنهج البيوغرافي لدراسة الفئات الاجتماعية المهمشة، التي لم تُتَحْ لها في السابق فرصة الحديث عن نفسها. وهكذا تمّ إنتاج سير فردية واجتماعية متعددة ساهمت في تجديد أبحاث التاريخ والسوسيولوجيا والأنثربولوجيا، وأعادت الاعتبار للمعيش اليومي".

خصائص ثقافة الفقر:([136])

"**خصائص اقتصادية:** تتمثل في الصراع من اجل البقاء، البطالة، البطالة الجزئية، انخفاض الأجور، غياب المدخرات تنوع المهن ذات المهارات المنخفضة، ونمط الشراء المستمر بكميات قليلة كلما دعت الضرورة إلى ذلك واستعمال الأثاث والملابس المستعملة، وشيوع التسليف المنظم بين الجيران والاقتراض بفوائد مرتفعة وغياب المخزون السلعي من طعام في المنزل.

خصائص اجتماعية: أما الخصائص الاجتماعية لثقافة الفقر فقد مثلها في انعدام الخصوصية، افتقاد الوازع الديني، ارتفاع معدلات الوفاة، كثرة هجر الزوجة والأولاد، الشعور بالاستسلام والقدرية، ويرى اوسكار لويس بان ثقافة الفقر هي تكيف ورد فعل الفقراء على مكانتهم الهامشية في المجتمع الطبقي، لأنها تمثل جهدا للكفاح والتغلب

---

[135]- عبد الرحمن المالكي، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، مرجع سابق، ص ص 97، 98.
[136]- ابراهيم فلوم، مرجع سابق، ص69.

على المشـــاكل مع شـــعور بفقدان الأمل واليأس الذي يتطور إلى إدراك عدم احتمال انجاز النجاح بقيم وأهداف المجتمع الأكبر".

دراسة الفقر –اوسكار لويس:([137])

من الآراء التي أكسبته شعبية واسعة في هذا المجال ذلك الرأي القائل بان هناك ثقافة فقر متميزة ذات صـفات مشـتركة بغض النظر عن المجتمع الذي يوجد فيه هذا الفقر وتدين هذه الفكرة بوجودها إلى العالم الانثروبولوجي اوســكار لويس التي أجراها في بداية الأمر على الأحياء المتخلفة في مكسـيكو سـيتي والتي تعرف باسـم فيكندادس vecindades ، ثم على الجالية المهاجرة من أبناء بورتوريكو paertorican، والذين يعيشـون في مدينة نيويورك الأمريكية، وقد تبلورت أفكار لويس وأصـبحت أكثر تحديدا من خلال دراسـتين له الأولى على أطفال سـانخيز والثانية حول الحياة، حيث درس في الأولى حالة إحدى الأسر الخمس دراسة تتبعية مركزة، أما في الثانية فكان تركيزه على المهاجرين البوتوريكيون الذين اسـتقرو ويعيشـون في مدينة نيويورك ومدى تأقلمهم مع حياة المهجر والمجتمع الجديد، وقد تركزت كثير من أعمال لويس على وصـــف حياة الفقراء الاسبان في الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية".

نتائج الدراسة:([138])

وجاءت نتائج الدراسـة مثيرة للدهشـة الهيئات الحكومية المختصـة وللهيئات والمنظمات السـياسـية حيث اتضـح أن نتائج تلك الدراسـة يمكن تلخيصـها في عنوان واحد هو أن الفقراء يدفعون ثمنا أعلى عند شـراء احتياجاتهم، ويتضـح هذا من شـراءهم للسـلع الرثة الرديئة من المحلات التي تبدو في الظاهر رخيصة واعتمادهم على الشراء بالأجل دون الانتباه إلى الأعباء المالية المجحفة المترتبة على هذا الأســلوب وفي عدم ترشــيد الاسـتهلاك بشـراء أشـياء غير ضـرورية، فهم يدفعون ثمنا أغلى مما ينبغي لأنهم لا يقرؤون الصـحف، فلا يعرفون مثلا المحلات أو المناسبات التي تجري فيها تخفيضـات حقيقية، ولأنهم لا يقارنون بين السـلعة والثمن لنقص دائرة الخبرة ولا يتبعون أسـلوب

[137]- محمد الجوهري، مرجع سابق، ص ص 38- 39.
[138]- المرجع السابق، ص39.

التخطيط في اقتناء المشـــتريات، ولا يغيرون الســـلع التي يشـــترونها أو المتاجر التي يتعاملون بها بســـرعة ومرونة والتزامهم بالتراث ومحافظتهم عليه (كإجراء دفاعي ضـــد المجتمع المحيط)".

الدرس العاشر:

عاشرا: الفلاح البولندي –ويليام توماس وفوليان زنانيكي–

موضوع الدراسة وإطارها التصوري والمنهجي:[139]

"حاولت هذه الدراســـة التصـــدي لأثار هجرة الفلاحين البولنديين إلى أوروبا وأمريكا، وذلك يحصر التغيرات الاجتماعية والثقافية، التي تركت بصماتها على مكونات التنظيم الاجتماعي في بولندا.

اســتهدفت هذه الدراســة الميدانية الكشــف عن التغيرات الاجتماعية التي طرأت على التنظيم الاجتماعي في المجتمع البولندي، وقيم واتجاهات الفلاح البولندي نتيجة حركة الهجرة الشاملة من بولندا إلى أوروبا وأمريكا والكشـــف عن العوامل الذاتية المؤثرة في الموقف الاجتماعي، التي تتجسد فيه كافة التفاعلات الاجتماعية.

ولأجل ذلك انطلقت الدراسة من مجموعة أفكار وتصورات أهمها:

1/ النظرة إلى التنظيم الاجتماعي باعتباره يتألف من النظم الاجتماعية التي تتشـــكل من القواعد والمعايير التي يتحدد من خلالها ســـلوك الأفراد في المجتمع، وان الثقافة تمثل القيم المادية والاجتماعية لأية جماعة من الجماعات البشرية، وان هناك علاقة تبادلية بين كل من المجتمع والثقافة والشخصية، وهذا ما حاولت الدراسة بحثه.

2/ إن معالجة أي ظاهرة من الظواهر الاجتماعية نظريا وامبريقيا تقتضـــي النظر إليها نظرة كلية، بمعنى تناولها في ضوء مبدأ التكامل الذي يعني دراسة الظواهر الاجتماعية في ضوء الســـياق المجتمعي كله، وفي ضـــوء علاقاتها الظاهرة ببقية أجزاء الواقع الاجتماعي، وهذه النظرة هي ذاتها التي تنطلق منها الدراسة.

3/ أن الفعل الاجتماعي هو الوحدة الأساسية التي ينبغي في ضوئها تحليل المجتمع والثقافة، من خلال الموقف الاجتماعي الذي يتضـمن الظروف الموضـوعية القائمة (ظروف الحياة)،

---

[139]- كمال التابعي، دراسات في علم الاجتماع الريفي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1993، ص ص 97- 134.

والاتجاهات الموجودة التي تؤثر على ســـلوك الفرد بالإضـــافة إلى تحديد الفرد للموقف الاجتماعي".

ومن هذا المنطلق قسمت الدراسة إلى أربعة أجزاء:[140]

ج1/ التنظيم الأول للمجموعة: حيث أن العائلة البولندية التقليدية هي الفاعل الاجتماعي الأساسي، وتعد واجبات الأفراد فيما بينهم التزام لا عاطفة.

ج2/ الفوضـــى وإعادة التنظيم: ظهرت تحولات ســـريعة وفجائية قلصـــت من حجم العائلة وخلقت أزمات سـياسـية واقتصـادية واجتماعية، وهذا ما سـاعد على تكوين اتجاهات جديدة للأفراد تتعارض مع القيم الأســـرية البولندية ومن هنا بدأت فكرة التفكك الاجتماعي وبالتالي الهجرة.

ج3/ حالة النظام والنظام في أمريكا: بعدما كان المهاجر البلندي يعيش وفقا لأنظمة معينة اخذ حرية بعد تنقله إلى أمريكا، فأصـــبح في حالة اللانظامية، وبهذا ظهرت اتجاهات وقيم جديدة، وبهذا شـــاع بين البولنديين التفكك الفردي (افتقاد الفرد القدرة على التنظيم من اجل تحقيق أهدافه).

ج4/ الاهتمام بدراسة سيدة مهاجر:

فرضيات الدراسة:[141]

صاغ الباحثان مجموعة من التساؤلات التي تم بحثها من خلال الدراسة:

-إلى أي مدى تتفق الفردانية مع الترابط والتضـــامن الاجتماعي؟ وما هي أشـــكال التنظيم الاجتماعي التي تسمح بأكبر قدر من الفردانية؟

- ما طبيعة العلاقة بين الكفاءة الفردية والكفاءة الاجتماعية؟

- إلى أي مدى يرتبط الشذوذ في السلوك بالظروف الاجتماعية والاقتصادية ودرجة التضامن في المجتمع؟

---

[140]- كمال التابعي، مرجع سابق، ص135.

[141]- المرجع السابق، ص135.

– ما هي أوجه التغير في القيم الاجتماعية؟

– كيف يمكن الحصـــول على أعلى اســـتجابة متبادلة والتوافق مع اقل قدر من التدخل في الاهتمامات الشخصية؟

– كما حاولت الدراسة فحص مشكلات أخرى مثل: مشكلات السعادة الاجتماعية، ومشكلة صراع الأجناس ومشكلة التنظيم المثالي للثقافة.

النتائج:[142]

–حاولت هذه الدراســة التصــدي لآثار هجرة الفلاحين البولنديين على التغيرات في الأنســاق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على نطاق المجتمع البولندي.

– حاولت كذلك الوقوف على تأثير برامج ومشروعات التنمية على التغير في انساق القيم في مجتمع محلي حضري.

– تبنت الدراسة المدخل البنائي الوظيفي في الكشف (نظريا، امبريقيا) عن ملامح التغير في المجتمع البولندي بفعل عامل الهجرة.

– اعتمدت هذه الدراســة على طريقتي دراســة الحالة وتحليل المضــمون والطريقة المقارنة للحصول على البيانات.

– اعتمدت كذلك على الرسـائل المتبادلة بين المهاجرين وأسـرهم، وعلى الصـحف والمجلات والوثائق كطريقة بجمع البيانات.

– كشـفت هذه الدراسـة عن اثر المتغيرات الاقتصـادية في تغير البناء الاجتماعي ومكونات وثقافة المجتمع.

– كما كشفت عن محددات للمكانة الاجتماعية والاقتصادية في القرية البولندية".

[142]- كمال التابعي، مرجع سابق، ص148.

المراجع:

1.إبراهيم فلوم، الثقافة وإنتاج الديمقراطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2001.

2.ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة تحقيق: عبد السلام هارون، ط2، المجلد الخامس، القاهرة: شركة ومطبعة الحلبي وأولاده، 1392هـ.

3.ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (د.ت)، لسان العرب.

4.إدغار موران : الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، ترجمة: أحمد القصوار ومنير الحجوجي، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1 ،.2004

5.آلان كولون، مدرسة شيكاغو، ترجمة مروان بطش، مجد/ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ، الطبعة الأولى، 2012.

6.بدر يحيى مرسي، علم الاجتماع مقدمة في سوسيولوجيا المجتمع، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2008.

7.بدر يحيى مرسي، علم الاجتماع مقدمة في سوسيولوجيا المجتمع، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2008.

8.بيومي محمد احمد، أسس وموضوعات علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، 2000.

9.تيودور كابلوف، البحث السوسيولوجي، دار الفكر الجديد، بيروت، 1979.

10.ثورشتاين فيبلن ، الطبقة المترفة ، ترجمة : محمود محمد موسى ، مراجعة : د. ابراهيم سعد الدين ، (الدار المصرية للتأليف والترجمة ، بدون سنة) .

11.الحسن إحسان محمد، رواد الفكر الاجتماعي، دار وائل للنشر، بغداد، 1999.

12.خالد طحطح، علي بن محمد السوسي السملالي بيوغرافية ثقافية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، نوقشت موسم 2013-2014.

13.ديل إيكلمان، المعرفة والسلطة في المغرب، صور من حياة مثقف من البادية في القرن العشرين، ترجمة محمد أعفيف، ليتوغراف طنجة، طبعة جديدة، 2009.

14.الزبيدي، محمد مرتضي الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد العليم الطحاوي. المجلد الرابع عشر، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، 1394هـ.

15.سامية جابر، الفكر الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1990.

16.ستوفر وزملاؤه، دراسات في علم النفس الاجتماعي في الحرب العالمية الثانية، المجلد الأول.

17.سمعان، مكرم (1964م) مشكلة الانتحار، دراسة نفسية اجتماعية للسلوك الانتحاري بالقاهرة. القاهرة: دار المعارف، 1964.

18.سيلز، د.إل، الموسوعة الدوليّة للعلوم الاجتماعيّة ، مترجم، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2010.

19.صلاح التنواني، إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية، الإسكندرية، دار الجامعات المصرية، 1976.

20.صلاح التنواني، إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية، الإسكندرية، دار الجامعات المصرية، 1976.

21.عادل المساتي، سوسيولوجيا الدولة بالمغرب: إسهام جاك بيرك، تقديم أحمد بوجداد، سلسلة المعرفة الاجتماعية والسياسية، الطبعة الأولى، 2010.

22.عبد الرحمن المالكي، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، إفريقيا الشرق، الطبعة الأولى.

23.عبد الفتاح حسن، تاريخ الامريكيتين وتكوين السياسي للولايات المتحدة الأمريكية، 2003.

24.عبد الله محمد اسعد وليلى إبراهيم العريان، العلاقات الإنسانية، وزارة التربية، الكويت، 1979- 1980.

25.الغريب عبد العزيز بن علي، نظريات علم الاجتماع، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2009.

26.فايد حسين، دراسات في السلوك الشخصية، ط1، القاهرة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، 2004.

27.كمال التابعي، دراسات في علم الاجتماع الريفي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1993.

28.محمد رضـــا البغدادي، ندوة الإدارة المدرســـية تجديد وتجويد:ورقة العلاقات الإنســـانية ودورها في تطوير الأداء،(د.م): دائرة الإشراف التربوي، 2000.

29.محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، عالم الكتب، القاهرة، مصـــر، ط 3، 2004.

30.محمد علي محمد، علم اجتماع التنظيم، ج/1، (دار المعرفة الجامعية، الإســـكندرية، 1979).

31.محمد محمد شفيق، علم النفس الاجتماعي، ط1، القاهرة، 2000.

32.محمد منير مرسي، الإدارة التعليمية:أصولها وتطبيقاتها، القاهرة:عالم الكتب، 1996.

33.محمد منير مرسي، الإدارة المدرسية الحديثة، القاهرة:عالم الكتب، 1995.

34.مصـــطفي، إبراهيم وآخرون (ب.ت) المعجم الوســـيط. المجلد الثاني تركيا: المكتبة الإسلامية، 1392هـ.

35.ناصر دادي عدون، المؤسسة الاقتصادية، دار المحمدية العامة، الجزائر، 1998.

36.يانيك لوميل، الطبقات الاجتماعية، ترجمة جورجيت الحداد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2008، الطبعة الأولى.

37.يعقوب نشـــوان، الإدارة والإشـــراف التربوي بين النظرية والتطبيق، عمان: دار الفرقان، 1986.

38.Bech, A. et al. (1979). Assessment of Suicidal Ideation: The Scale for Suicidal Ideation, Journal of Consulting & Clinical Psychology, Vol. 47.

39.Bonner, R. & Rich, A. (1987). Toward a predictive model of suicidal ideation and behavior: Some preliminary data in college students, Suicide & Life-Thereatening Behavior, Vol. 17.

40.bronislair malinowski, crime and custon in savage society (new york, humanities press, 1926).
41.Daniel Bougnoux et Bastien Engelbach, « Entretien avec Edgar Morin (2) : Science et philosophie », nonfiction.fr, 10 avril 2008.
42.domenico loxsurdo, il révisionis mostrico, problemi emiti, laterja, Bari, 1996.
43.Edgar Morin, Véronique Nahoum-Grappe, Haïm Vidal Sephiha (1989) "Vidal et les siens", Paris: Seuil.
44.Erik Lundberg, Gunnar Myrdal s Contribution to Economic Theory: A Short Survey, Swedish Journal of Economics 74, no. 4 (1974): quoted on 480.
45.Gunnar Myrdal, What Is Economic Development? Journal of Economic Issues vol. 8 (1974).
46.howard becker, recconnait egalement que la distinction entre phénomenes (fonctionnels), european journal of sociology, II, 1961.
Howards S . Becker . Outsiders : 1973, studies in The sociology of Deviance New york Free Press .
47.http://www.startimes.com/?t=30181466/ 23/05/2017. 09 :40.
48.john p. marquand, poit of no retun, boston, 1949.
49.Morin ،Edgar؛ Boukhardi ،Sophie (January 2004). "Talking to Edgar Morin: Defining dialogue". UNESCO: the new Courier.
50.Oscar Lewis, *Les enfants de Sanchez*, *autobiographie d'une famille mexicaine*, *traduit* de l'anglais par *Céline Zens*, Edition. Gallimard, Paris, 1963.
51.robert k, merton. (social problems and social theory), brace and world inc, 1961.
52.voir donald r. cressey, criminologie research and the definition of crimes, american journal of sociology L V I, may 1951.
53.vol I samuel A , stouffer et al, the american soletier, adjustement dulrbing army life, princetion, N , j , princetion university press, 1949.
54.w. lloyd warner and paul s, university press, 1941.
55.Waller R Gove , social Reaction as an Explanation of Mental IIness : an Evaluation American Sociological Review 35 (October 1970).